

مجنون ليلى أحمد شوقي



مجنون ليلى

أمير الشعراء

أحمد شوقي

زمن الرواية: صدر الدولة الأموية.

مكان الرواية: بادية نجد.

أشخاص الرواية:

قيس: مجنون ليلى.

ليلى

المهدي: أبو ليلى.

ورد: زوج ليلي.
ابن عوف: أمير الصدقات في الحجاز وعامل من عمال بني أمية.
زياد: راوية قيس وصديقه.
منازل: غريم قيس في حب ليلي.
بشر: رجل من بني عامر.
ابن ذريح: شاعر من شعراء الحجاز.
نصيب: كاتب ابن عوف.
سعد: رجل من بني عامر.
الغريض: مغن مشهور.
ابن سعيد: شاعر.
أمية: رفيق ابن سعيد.
الأموي: شيطان قيس.
عصفور - هبيد - عسر - عاصف : شياطين.
بلهاء: جارية قيس.
عفراء: جارية ليلي.
سلمى - هند - عيلة : فتيات من بني عامر.
رجال - قوافل - حداة - صبية - فتيات

الفصل الأول

ساحة أمام خيام المهدي في حي بني عامر - مجلس من مجالس السمر في هذه الساحة -
فتية وفتيات من الحي يسمرون في أوائل الليل؛ وفي أيدي الفتيات صوف ومغازل يلهون بها
وهم يتحدثون - تخرج ليلي من خيام أبيها عند ارتفاع الستار ويدها في يد ابن ذريح.

ليلي :

دعي الغزل سلمى وحيي معي ||| منارَ الحجازِ فتى يثربِ

تصافحه سلمى

ويا هَندُ هذا أديبُ الحجازِ ۞ ۞ ۞ هَلَمِّي بمقدمه رحي

تصافحه هند ويحتفى به السامرون

سعد: أمن يثرب أنت آت ؟

ابن ذريح: أجل ۞ ۞ ۞ من البلد القُدس الطيب

ليلى :

أيابنَ ذريحَ لقينا الغمام ۞ ۞ ۞ وطافت بنا نفحاتُ النبي

عبلة: (هامسة إلى سعد)

مَن ابن ذريح ؟

سعد:

فتىَ ذِكرُهُ ۞ ۞ ۞ على مشرق الشمس والمغرب

رضيعُ الحُسينِ عليه السلامُ ۞ ۞ ۞ وتربُّ الحسين من المكتبِ

عبلة: (إلى بشر ومشيخة إلى ابن ذريح)

أُتسمِعُ بشرُ ، رضيعُ الحسينِ ۞ ۞ ۞ فديتُ الرضيعين والمرضعه

وأنت إذا ما ذكرنا الحسينَ ۞ ۞ ۞ تصاممت!

بشر: (هامساً وملفتاً كأنما يخشى أن يسمعه أحد) لا جاهلاً موضعه

ولكن أخاف امرأً أن يرى ۞ ۞ ۞ عليَّ التشيعُ أو يسمعه

أحب الحسينَ ولكنما ۞ ۞ ۞ لساني عليه وقلبي معه

حبَّبتُ لساني عن مدحه ۞ ۞ ۞ حذارُ أميةً أن تقطعه

إذا الفتنة اضطرمت في البلاد ۞ ۞ ۞ ورُمت النجاةُ فكن إمعة

ليلى :

ابن ذريح ، نحن في عزلة ۞ فهل على مستفهم منك باس؟
دارُ النبيّ كيف خلّفنتها ؟ ۞ كيف تركت الأمر فيها يُساس؟
ابن ذريح: تركتها يا ليل مضبوطة ۞ يحكمها وال شديد المراس
إن حديث الناس في يثرب ۞ همسٌ وخطو الناس فيها احتراس
ليلي: ابن ذريح، لا تجرُ واقتصد ۞ أحلامُ مروانَ جبالُ رواسُ
يؤسسون الملك في بيتهم ۞ والعنف والشدة عند الأساس

(تتضحك الفتيات وتقول إحداهن لأخرى)

فتاة :

ليلي على دينِ قيسِ ۞ فحيث مال تميلُ
وكل ما سرّ قيسا ۞ فعند ليلي جميلُ

ابن ذريح :

ما الذي أضحك من الظّ ۞ بياتِ العامريّة
ألأني أنا شيعيٌّ ۞ وليلي أمويّة ؟
اختلاف الرأي لا يُفد ۞ سدُّ للود قضيبه

ليلي :

أعربي سماعك يا بن ذريح ۞ ولا تسمع الطفلة الهاذيه
أتيت لنا اليوم من يثرب ۞ فكيف ترى عالم البادية
أكنت من الدور أو في القصور ۞ ترى هذه القُبّة الصافية
كأن النجومَ على صدرها ۞ قلأندُ ماسٍ على غانيه

هند :

كفى يا بنّة الخال! هذا الحريرُ ۞ كثيرٌ على الرمة الباليه
تأمل تر البيد يا بن ذريح ۞ كمقبرةٍ وحشةٍ خاويه
سئنا من البيد يا بن ذريح ۞ ومن هذه العيشة الجافيه

ومن مُوقِدِ النارِ في موضعٍ ۞ ومن حالبِ الشاةِ في ناحيه
وراعيةٍ من وراءِ الخيامِ ۞ تُجيبُ من الكلاً الثاغيه
وأنتم بيثربَ أو بالعراقِ ۞ أو الشامِ في الغرفِ العالیه
مُغنيكمُ مَعَبَدِّ والغريضُ ۞ وقينتنا الضَّبْعُ العاويه
وقد تأكلون فنونِ الطهارةِ ۞ ونأكل ما طهتِ الماشيه

ليلي :

قد اعتسفتَ هند يا بن ذريحِ ۞ وكانت على مهدها قاسيه
فما البيد إلا ديار الكرامِ ۞ ومنزلة الذمم الوافيه
لها قبلة الشمس عند البروغِ ۞ وللحضرِ القبلة الثانية
ونحن الرياحينُ ملء الفضاءِ ۞ وهنَّ الرياحين في الآنيه
ويقتلنا العشقُ والحاضراتُ ۞ يقمن من العشق في عافيه
ولم نصطدِّم بهموم الحياةِ ۞ ولم ندر - لولا الهوى - ماهيه
وأنا نخف لصيِّدِ الطباءِ ۞ وأنا إلى الأسدِ الضاربه

هند: (ساخرة)

وفي كل ناحيةٍ شاعرٌ ۞ يغني بليلاًه أو راويه

(تحاول ليلي أن تمد رجلها فتتألم وتستغيث)

ليلي: قيسُ. إليّ قيسُ

هند :

ما ۞ دهاك ليلي ما الخبرُ

ليلي:

أحس رجلي خدرت ۞ حتى كأنها الحجرُ

هند:

قد صحتِ قيسٌ، مرتباً ١١١ من

ليلي :

أو ثلاثاً ! ما الضررُ ؟

هند: (متهكمة):

اسم الحبيب عندنا ١١١ نذكره عند الخدرُ
ليلي: هند ، كفى دعاية ١١١ إن هو إلا اسمُ حضرُ

(لنفسها):

يا قيسُ ناجي باسمك الـ ١١١ قلبُ اللسانِ فعثرُ

عبلة (ضجرة)

أما سوى هذا الحديثِ شاغلُ؟ ١١١ كيف ظلتَ اليومَ يا منازلُ ؟

منازل: (ضاحكاً):

منازلُ اليومِ كأمسٍ هازلُ ١١١ يشربُ أو يطعمُ أو يُغازلُ!

هند :

بخِ ! كذا فلنكن الحياةُ ١١١ مت يا بغيرِ وانفقي يا شاةُ
انغمست في الترفِ الرعاةُ!

ليلى :

وكيف ظللت اليوم سعد ؟ أهازلُ
كتر بك أم في صالح ورشاد؟

سعد :

بل الجدُّ يا ليلى سبيلي وديدني ۞ حياتي بوادٍ والمُجونُ بوادي
صحبت زيادا طول يومي تلقفا ۞ لأشعار قيس من لسان زيادِ
وإنَّ زيادا - منذ كان - لرائحُ ۞ علينا بشعر العامري وغادي
ولولا زيادُ ما تمثَّل حاضرُ ۞ بأشعار قيس أو ترنم بادي

(يبدو على ليلى شيء من الزهو فنتهامس الفتيات)

سلمى :

انظري هندُ ترى ليد ۞ لى اکتست زهواً وكبرا
وتعالت كابتة النعم ۞ مانٍ أو كابتة كسرى

هند :

لم لا سلمى ، ألم يره ۞ فع لها المجنون ذكرا ؟

عبلة :

لم إذن يا هند من ۞ قيسٍ ومما قال تبرا ؟

هند :

عبثُ النسوة ، إننا ۞ نحن بالنسوة أدرى!

سلمى :

سلوا الآن بشرا فيم أنفق يومه ؟

أصوات: سلوه

هند: سلى يا ليلَ عن يومه بشرا

ليلى :

وهل يومه إلا شؤون كأمسه ||| من الصيد؟

هند: إن الصيد لذته الكبرى

بشر :

نعم هو ملهاي الذي لا أمّله ||| ولا النفس تعطى عن تناوله صبيرا
ولو كان عيشي في قصور أمية ||| لعلمتُ فن الصيد فتيانها الزهرا
وما أنا صياد الأرناب مثلهم ||| ولكن على حياته ألجُ القفرا

ليلى :

إذن هات واصدقُ بشرُ في القول مرةً ||| ولا تخترعُ أو تبين من حجرٍ قصرا

بشر: دعي عنك هذا السُخرَ يا ليلَ واسمعي

ليلى: تحدّثت فلا والله لم أضمرِ السخرا

بشر :

بكرتُ كدأبي اليوم أبغى قنيصةً ||| ومن يتصيد يحسب الغنم والخسرا

(رأيت غزالا يرتعي وسط روضة ||| فقلت أرى ليلى تراءت لنا ظهرا)*

هند: (مشيرة إلى ليلى):

وأى الليالي بشرُ أنست؟ هذه؟

بشر: إذا شئت - أو هاتيك - أو حرةً أخرى

فقلت له يا ظبي لا تخش حادثاً ||| (فإنك لي جارٌ ولا ترهب الدهراً)
(فما راعني إلا وذئبٌ قد انتحى ||| فأعلق في أحشائه النابَ والظفراً)
(ففوّقتُ سهمي في كتومٍ غمستُها ||| فخالط سهمي مهجةَ الذئب والنحرا)

ليلي (ضاحكة):

أخي بشرٌ لا شُلتَ يمينك من يدٍ ||| ولا فضّ فاك الصبح والليل مكرراً
سمعنا بإقدام اللصوص وفتكهم ||| فلم نر أدهى منك فتكا ولا أجراً
ووالله لم تغضب لظبي ولم تثب ||| بذئب ولم تُعمل خيالاً ولا فكراً
أخذت فلم تترك لقيس بضاعةً ||| سرقت لعمري الظبي والذئب والشعرا

(ضحك من الجميع)

حديثُ الظبي والذئب ||| وقيسٍ لست أنساه
زياد عنه نبأني ||| ولا ينيك إلاه
رأى قيسٌ على رابٍ ||| -يةً ظيباً فناداه
فألقي الظبي أذنيه ||| ومس الأرض قرناه

(ثم تقول في لوعة وصوت مخفوض وكأنما تحدث نفسها)

بروحي قيس هل راحت ||| ظباء القاع تهواه!
وهل يرثي له الريمُ ||| ولا أرثي لبلواه!

(تسترسل في حديثها الأول)

على فيه من العشب ||| بقايا صبغت فاه
رأى في جيده قيسٌ ||| وفي عينيه ليلاه

فبينما هو في الشوقِ ۞ وفي نشوة ذكراه
حبا الذئب من الوادي ۞ إلى الظبي فأرداه
تغذَى بحشى الظبي ۞ غداءً ما تهناه
رماه قيس في المقتـ ۞ لـ بالسهم فأصماه

بشر : (مندفعا بحماسة):

أجل يا ليلَ ! ما قلتِ ۞ سوى شيءٍ شهدناه
وإن لم تذكرِ القبرِ ۞ ولا كيف خططناه
حفرنا القبر للظبي ۞ وقمنا فدفناه
وصلينا على الميت ۞ وبالدمع سقيناه
فقولوا ولتقل ليلي ۞ معي : يرحمه الله!

(أصوات، بين الضحك والسخرية):

أجل بشر!

أجل بشر! ۞ أجل يرحمه الله!

ابن ذريح :

بشرُ ، كفى هزلا وتخليطا كفى ۞ ويا بنة العم مضى الليل سدى
أرسلني قيس فلو أخبرتني ۞ متى متى بأمر قيسٍ يعتنى
بتنا نخاف أن يجلّ خطبُه ۞ وتبلغ البلوى بقيسٍ المدى
وقيس يا ليلي وإن لم تجهلي ۞ زين الشباب وابن سيد الحمى
لم ندر في حيّك أو في حيّه ۞ فتى حكاه نسبا ولا غنى
ولا جمالا ، وهنا (يا ليل) ما ۞ ترين أنتِ لا الذي نحن نرى

بشر : (ساخرا) :بخ بخ ! ابن ذريح خاطبُ

ابن ذريح : اسكت، فلست للمروءات أخا

ليلى : (غاضبة) :فيم هذا الكلام يا بن ذريح؟

ابن ذريح: اتقى الله واقصدي في التجني
ليلي: ما تجنبتُ

ابن ذريح:

بل ظلمتِ ، دعيني ااا أحسن الذودَ عن صديقي وخذني

ليلي :

أنا أولى به وأحنى عليه ااا لو يُداوى برحمتي والتحنّي
يعلم الله وحده ما لقيس ااا من هوى في جوانحي مستكنّ
إنني في الهوى وقيسا سواء ااا دنّ قيس من الصباية ذنّي
أنا بين اثنتين كلتاها الند ااا اار فلا تلحني ولكن أعني
بين حرصي على قداسة عرضي ااا واحتفاظي بمن أحب وذنّي
صننتُ منذ الحداثة الحب جهدي ااا وهو مستهتر الهوى لم يصنّي
قد تغنى بليلة الغيل ، ماذا ااا كان بالغيل بين قيس وبينّي!
كل ما بيننا سلامٌ وردّ ااا بين عين من الرفاق وأذن
وتبسّمتُ في الطريق إليه ااا ومضى شأنه وسرتُ لشأني

(تهيب بالسامرين وقد بلغ بها الغضب أقصاه):

فلنقم أوغل الليلُ

ابن ذريح: (متوسلا): بل رويدا ااا واسمعي ليل

! ليلي: خل عني دعني

الهرج والأسف – تدخل خباها بينما ينفض السامرون فلا يتناقل منهم في القيام إلا منازل)
(يسودان الجميع

* بين الأقواس من شعر قيس الأبيات التي

بشر :

انفضّ سامرُ ليليّ ||| وكان حفلا كريما

سعد :

قد فضّه ابن ذريح /// ففضّ عقدا نظيما
أثار ليليّ فهاجت ||| كما تنفّر ريما
تُرى أتُبغضُ قيسا

ابن ذريح :

لا تقلبوا الحب بغضا
ليلي العشيّة غضبي /// ويُصبح الصبحُ ترضي

سعد : أنعم (مُناز) مساءً

منازل: نعمتُ سعدُ مساءً

هند: بشرُ مُسيّتٍ بخير

بشر :

أنعمي هند مساءً
نحن يحوينا طريقُ ||| فامضِ بلّغني الخباءَ

سعد: (ضاحكا): احذري يا هند منه!

هند :

أنا لا أخشى اعتداء
قد عرفتم وعرفنا /// كيف يصطاد الطباء

(تسمع ضحكاتهم من أقصى الطريق بنما يظهر قيس وزيد من جانب المسرح الآخر)

قيس :

سجا الليلُ حتى هاج لي الشعر والهوى ||| وما البيدُ إلا الليلُ والشعرُ والحبُّ
ملأت سماءَ البيدِ عشقا وأرضها ||| وحُمِلتُ وحدي ذلك العشقَ يا ربُّ
ألمَ على أبياتِ ليلي بي الهوى ||| وما غيرَ أشواقي دليلُ ولا ركبُ
وباتت خيامي خطوةً من خيامها ||| فلم يشفني منها جوار ولا قربُ
إذا طاف قلبي حولها جُنَّ شوقه ||| كذلك يُطفي الغُلةَ المنهلُ العذب
يحن إذا شطت ويصبو إذا دنت ||| فيا ويح قلبي كم يحنُ وكم يصبو
وأرسلني أهلي وقالوا امض فالتمس ||| لنا قَبَسًا من أهل ليلي وما شبوا
عفا الله عن ليلي لقد نَوَّتْ بالذي ||| تحمَّلَ من ليلي ومن نارها القلب

منازل: (ولقد سمع هممة الصوت ورأى شبيهما في الظلام)

أرى شبحا مقبلا في الظلام ||| وأسمع هممةً في الدُجى
هو ابن الملوحة دل الهُزالُ ||| عليه ونم اضطراب الخطأ
عدوي المبين وما بيننا ||| وما بين صاعيتين جفا*
روى شعره البدو والحاضرون ||| وشعري ليس له من روى
وهام بليلى وهامت به ||| لقد كنت أولى بهذا الهوى
تشرّد مستعظما في البلاد ||| وجنّ فما ازداد إلا نُهى
وإني لأبدي إليه الوداد ||| وأخفي له في الضلوع القلى
وأحسده حسداً ما علمتُ ||| أقيسُ الشقيُّ به أم أنا

(يتقدم منهما خطوات):

مَنْ الراكبُ الليلَ؟ قيسُ أخي؟

قيس: منازل؟ ما أعجبَ الملتقى!

منازل :

أقيساً أرى في ظلال البيوت ||| وعهدي بقيس حليف الفلا!

قيس: منازل ، من أين؟

منازل :

من عندها /// من السَّمَرِ الممتعِ المشتَهَى

قيس: (حنقا)

أمن عند ليلي تجرُّ الذبول /// حديثٌ لعمر أبي مفتري

منازل: بل الصدق ما قلتُ يا بن الملوِّ /// ح

قيس: اخسأ متي قلت صدقا متي؟

وما كنت تصنع؟

منازل: (ساخرا):

ما يصنعون /// لهوت لعمرى فيمن لها

وسامرٌ ليلي كثير الزحام /// فلست تعدُّ شبابَ الحمى

وليلي تقيضُ على من تشاء /// رضاها وتحرمهُ من تشا

زياد: (مغضبا)

منازل، قيس، سبيلك قيس! /// وكلُّ لي تأديبَ هذا الفتى

منازل: (وقد أخذ بتلابيبه):

تؤدبني زيادُ وأنت ظلُّ /// لمجنون وراويةً لهاذي

وتزعم أنني نذُّ لقيس /// رضيتُ من المصائبِ غيرَ هذي

زياد :

من قال ذا؟ أنت لقيسِ نُدُّ ! /// لم يبقِ فيكِ يا حياةُ جدُّ
امض بنا ناحيةً يا وغد

(يجره إلى حيث تسمع أصواتهما من بعيد ثم تختفي فيقبل قيس على خباء ليلى وينادي)

قيس: ليلى!

(المهدي خارجا من الخباء)

المهدي :

من الهاتف الداعي؟ أقيسَ أرى ؟ /// ماذا وقوفك والفتيان قد ساروا

قيس: (خجلا): ما كنتُ يا عمُ فيهم

المهدي: (دهشا): أين كنت إذن؟

قيس :

في الدار حتى خَلْتُ من نارنا الدار

ما كان من حطبٍ جَزَلٍ بساحتها /// أودى الرياح به والضيفُ والجارُ

المهدي: (مناديا): ليلى، انتظر قيس، ليلى

ليلى: (من أقصى الخباء) : ما وراء أبي؟

المهدي: هذا ابن عمك ما في بيتهم نار

(تظهر ليلى على باب الخباء)

ليلى :

قيس ابن عمي عندنا /// يا مرحبا يا مرحبا

قيس:

مُتَّعَت ليلى بالحيا /// ة وبلَّغَت الأربا

ليلي: (تنادي جاريتها بينما يختفي أبوها في الخباء):

عفراء

عفراء: (مليية نداء مولاتها): مولاتي

ليلي:

تعا /// لي نقضِ حقا وجبا
خذي وعاءً وملئيه /// هـ لابن عمي حطبا

(تخرج عفراء وتتبعها ليلي)

قيس:

بالروح ليلي قضت لي حاجةً عرضت /// ما ضرها لو قضت للقلب حاجات
مضت لأبياتها ترتاد لي قيسا /// والنار يا روح قيس ملء أبياتي
كم جئت ليلي بأسباب ملفقة /// ما كان أكثر أسبابي وعلاتي

(تدخل ليلي)

ليلي: قيس

قيس:

ليلي بجانبني /// كلُّ شي إذن حضر

ليلي:

جمعتنا فأحسننت /// ساعة تفضُّلُ العُمُر

قيس: أتجدِّين؟

ليلي:

ما فؤا /// دي حديدٌ ولا حجرٌ
لك قلبٌ فسله يا /// قيس بينبُك بالخبر
قد تحملت في الهوى /// فوق ما يحمل البشر

قيس :

لستُ ليلاي داريا /// كيف أشكو وأنفجر ؟
أشرح الشوقَ كله /// أم من الشوق أختصر؟

ليلى :

نبّني قيس ما الذي /// لك في البيد ومن وطر ؟
لك فيها قصائدٌ /// جاوزتها إلى الحضر
كلُّ ظبي لقيته /// صغت في جيده الدرر
أُتري قد سلوتنا /// وعشقت المها الأخر ؟

قيس :

غرت ليلي من المها /// والمها منك لم تغر
حبّ البيد أنها /// بك مصبوغة الصور
لست كالغيد لا ولا /// قمر البيد كالقمر

ليلى : (وقد رأت النار تكاد تصل إلى كم قيس):

ويح عيني ما أرى

قيس؟

قيس :ليلى

ليلى : (مشفقة): خذ الحذر!

قيس : (غير آبه إلا لما كان من نجوى)

رُبَّ فجر سألته /// هل تنفست في السحر
ورياح حسبتها /// جرّرت ذيلك العطر
وغزال جفونه /// سرقت عينك الحور

ليلى :

اطرح النارَ يا فتى /// أنت غادِ على خطر
لهبُ النارِ قيسُ في /// كمَّك الأيمنِ انتشر

قيس: (مستمرًا بعد أن رمى النار من يده):

وذاب أرقُّ يا /// ليلَ من أهلكِ الغُيرِ
أنستُ بي ومرَّغتُ /// في يدي النَّابَ والظُّفرَ

ليلي :

ويحَ قيسِ تحرقتُ /// راحتاه وما شَعَرَ

قيس :

أنت أجبتِ في الحشى /// لاعجَ الشوقِ فاستَعَرَ
ثم تخشينَ جمرةً /// تأكلُ الجلدَ والشعرَ

(يترنح قيس في موقفه وتظهر عليه بوادر الأغماء)

ليلي :

فداك أبي قيس، ماذا دهاك؟ /// تكلم ، أبني قيسُ ، ماذا تجد ؟

قيس :

أحسُّ بعينيَّ قد غامتَا /// وساقِي لا تحملانِ الجسدُ

(يخرَّ صريعا إلى الأرض فتتلقاه على صدرها صارخة):

ليلي :

يا لأبي للجارِ، قيسُ ضريعُ النارِ، مُلقى بصحنِ الدارِ

(يخرج أبوها من الخباء على صوت استغاثتها):

أبي ها أنت ذا جئت /// أَعْتِنَا أُبْتِ أَدْرِكُ
لقد حُرِّقَ بالنار /// فما يصحو إذا حُرِّكُ

المهدي: يرانا الناس يا ليلي
ليلى: أبي، أنفِ الناسَ من فكرك

هنا لا تقعُ العينُ /// على غيري ولا غيرك
ولا يطلُّعُ إنسانٌ /// على سري ولا سرِّك
ولا أجدرُّ من قيسٍ /// بإشفاقك أو برك
أبي، صدري لا يقوى /// فأسنده إلى صدرك

(وهو يتلقى عنها جسد قيس ويحاول إنعاشه)

رعاكَ اللهُ يا ليلي /// وكفاك على صبرك
أخاف الناس في أمري /// وأخشى القلبَ في أمرك
وكم داريتُ يا ليلي /// وكم مهَّدتُ من عذرك
ولست الوالدَ القاسي /// ولا الطامعَ في مهرِك

(يناجي قيساً في غيبوبته):

أبا المهديَّ عوفيتَ /// ويا بورك في عمرك
أراني شعرك الويلُ /// وما أروي سوى شعرك
كما لَدَّ على الكره /// كلامُ الله للمشرك

(يتحرك قيس ويبدو عليه كأنما يفيق فيناديه)

المهدي :قيس

قيس: (يحاول الوقوف فتسندده ليلى)

عمّ ، لبيك عمّ

: المهدي

حسبُك فاذهبُ !!! لا تطأ لي بعد العشيّة دارا

ليلى: أبتى ، لا تجرّ على قيس

: المهدي

لمّ لا !!! إن قيسا على القرابة جارا

: ليلى

أبتى ، ما تراه كالفنّنّ اذا !!! وي نُحولا وكالمغيّب اصفرارا ؟

وتأمل رداءه ويديه !!! تجد النار أو تر الآثارا

أبتى ، دعه يسترخّ

: المهدي

بل دعينا !!! لا تزيدى يا ليل سخطى انفجارا

: قيس

حسبُ يا ليل ، حسبُ لا لعمي !!! وكفى حلفه له واعتذارا

عمّ ماذا جنيت ؟

ليلى: ماذا جنى قيس!

المهدي: نسيت الرواة والأخبارا

قيس: إنهم يافكون يا عمّ

: المهدي

والغَيْلُ أليلاً غَشِيتهُ أم نهاراً ؟
ما الذي كان ليلةَ الغَيْلِ حتى /// قلتَ فيها النَّسِيبَ والأشعارا ؟

قيس :

لم تكن وحدها ولا كنت وحدي /// إنما نحن فِتيَةٌ وعذارى
جمعتنا خمائل الغيل بالليب /// لـ كما يجتمعُ الحمى السُّمَّارا
ليسَ غيرَ السلامِ ثم افترقنا /// ذهبَت يَمَنَةٌ وسرَّتْ يسارا

المهدي :

امض يا قيس امض لا تكسُ ليلي /// كلَّ حينٍ فضيحةً وشنارا
فكأني بقصة النار تُروى /// وكأني بذلك الشعر سارا
وكأني ارتديت في الحي ذلاً /// وتجللتُ في القبائلُ عارا
امض قيس امض

قيس :

عمُّ رفقا بليلي /// وبقيسٍ ولا تكن جبارا
الحدارَ من غضب اللـ /// هـ ومن سُخطه الحدار الحدارا

المهدي :

امض قيسُ امض جئتُ تطلب نارا /// ام تُرى جئتُ تُشعلُ البيت نارا ؟

(يخرج قيس)

(ستار)

الفصل الثاني

(طريق من طرق القوافل بين نجد ويثرب، على مقربة من حي بني عامر حيث تبدو مضارب هذا الحي على مدى البصر وعلى سفح جبل توباد - قيس وزياد جلوس إلى جذع نخلة، يستشرفان شبحا يسير نحوهما)
قيس :

زياد ما تلك؟ من الجؤيرية؟ ااا أتك (بلهاء؟)

زياد: أجل قيس ، هية
(تظهر بلهاء وعلى رأسها قصعة)
قيس :

بلهاء كيف الحي ؟ /// كيف أميه

بلهاء: (وهي تضع القصعة)

تسأل عنك ااا كما سألت

(تبدو على قيس كراهة للطعام وعزوف عنه)
زياد :

بالله قيس /// إلا أكلت

(يشد ميل قيس عن الطعام)
بلهاء: (هامسة لزياد):

زياد ، ماذا ااا قيس ولا همّا

زياد :

طبخُ يدِ الأمِّ // يا قيسُ ذُقْ ممّا
الأمُّ يا قيسُ ۞ لا تصبِحُ السُّمّا

(ينزع عن القصعة غطاءها).

تعالَ تأملْ قيس، تلك ذبيحةٌ

قيس: عسى اليوم نحرُ

زياد: أين نحن من الأضحى ؟

قيس :

أرى صنُعَ أمي يا زياد ، فديتُها // بروحي وإن حملتُها الهم والبرحا
ستخبرنا البلهاء

زياد :

بلهاء بيّني ۞ ولا تكتمي عنا الحديث ولا الشرحا

بلهاء :

لقد مرَّ عرّاف اليمامة بالحمى // فما راعنا إلا زيارته صباحا
طوى الحيّ حتى جاء عن قيس سائلا ۞ أظهر ما شاء المودة والنصحا
ولاحت له شاةٌ جثومٌ بموضع // تخيلها ظلا من الليل أو جنحا
فقال اذبحوا هاتيك فالخير عندها ۞ فقام إليها يافعٌ يحسنُ الذبّحا
فقال انزعوا من جثة الشاة قلبها // فلم نألُ قلب الشاة نزعا ولا طرّحا
فلما شويناها رقى بعزائم ۞ عليها وألقى في جوانبها الملحا
وقال اطلبوا قيساً فهذا دواؤه // كأني به لما تناوله صحّا

زياد :

تعلّ قيسُ بالشاة ۞ عساها تُذهب الحبا
فما العراف بالمجهو // ل لا علما ولا طبّا
ولم تعلمْ عليه البيي — ۞ — تدجيلا ولا كذبا

طبيبٌ جَرَبَ اليابـُـسَ // سَ في الصحراء والرطبا
فدقُ قيسُ ولا ترتبُ // بما قال وما نبأ
وتلك الأمُّ يا قيس // أطعها تطعِ الربا

قيس :

زياد اسمع وكن عوني // وخلُّ اللوم والعتبا
إذا ما لم يكن بُدُّ // فإني آكلُ القلبا

زياد :

قيسُ يبغى القلب يا بلـُـ // هاءُ أين القلبُ أينَا ؟

بلهاء :

هو عندي ويسيرُ // ما اشتهى قيسُ علينا
هو في الشاة

زياد :

هلمِّي // أخرجي القلبَ إلينا

بلهاء :

القلبُ ! أين القلبُ؟ أيـُـ // ن يا تُرى وضعتُهُ ؟
يا ويحَ لي ! نسيتُ أنـُـ // سي بيدي نزعته!

قيس :

وشاةٍ بلا قلبٍ يداونني بها // وكيف يداوي القلبَ من لا له قلب!

(تسير بلهاء إلى الحي ويظهر صغار من ناحية الحي يلهون في طائفتين وإذ تقع أبصارهم

على قيس وزياذ تتغنى كل طائفة بغناء)

الطائفة الأولى:

قيسُ عصفور البوادي ١١١ وهزارَ الرِّبواتُ
طرتَ من وادٍ لوادي ١١١١ وغمرتَ الفلواتُ
إيه يا شاعرَ نجدٍ ١١١١ ونجىَّ الظَّبَّياتُ
أضمرَ الحبَّ وأبدٍ ١١١١ لأَعَفَّ الفَتَيَاتُ

الطائفة الثانية :

قيسُ كَشَفَتَ العذارى ١١١١ وانتَهكتَ الحرَماتُ
وَدَمَغَتَ الحَيَّ عارا ١١١١ في السنين الغابراتُ
قد ذكرتَ الغَيلَ دعوى ١١١١ واصطنعتَ الخَلواتُ
صَلَّيتُ ليلي ببلوى ١١١١ منك دون الفَتَيَاتُ

(يلتقط قيس بضع حصوات من الأرض ويهم أن يحصب بها الصغار ثم يتردد فينثر الحصى من يديه، بينما يظهر من جانب الطريق الآخر ابن عوف وكاتبه نصيب)

قيس: (مناجيا نفسه):

قيس لا ، سامح صغارا ١١١١ لا يُحسون الخطيئة
إنهم فيما أتوه ١١١١ ببيغوات بريئة
لُقنوها كلمات ١١١١ نزهاتٍ أو بذيئه

زياد: (وهو يصرف الصغار):

أذهبوا عودا إلى آبائكم ١١١١ وانكروا قيسا بخير يا خُبْتُ
أذهبوا أو حُوا إلى أترابكم ١١١١ وليُبلِّغْ حَدَّثًا منكم حَدَّثُ
سيطرَ الحبَّ على دنياكم ١١١١ كل شيء ما خلا الحبَّ عَبَثُ

(يجري الصغار أمام زياد مضطربين ثم يختفون عن الأنظار، بينما يستلقي قيس على الأرض
في به إغماء)

ابن عوف إلى نصيب ، وزياد يطارد الصغار:

انظرُ نصيبُ ، ضجةٌ وصبيةٌ /// ورجل يرمي الصغار بالحصى

نصيب :

أرى أميري نشأً تعلقوا /// بآبن سبيل متعبٍ واهي القوى

ابن عوف: ابن امض سلّ

نصيب: (معتزلاً زياد) : من الفتى؟

زياد: (لنفسه وقد رأى ابن عوف)

ماذا أرى ؟ /// هذا أمير الصدقات ها هنا

(ثم يرد على نصيب):

قيسُ إمام العاشقين

ابن عوف :

أيهم /// فهم كثير، كل قيس بهوى

زياد :

أجل ولكنّ الذي تبصره /// أرفعهم ذكراً وأعلام سنى

ابن عوف :

لعله قيس الذي نعرفه /// لقد رويت شعره فيمن روى

فأين ظله زيادٌ ؟

زياد :

أنا ذا /// أنا الذي يتبعُهُ حيثُ مشى

ابن عوف :

أنت الذي تهدي لكل قريةٍ /// مُجاجةَ النحل ونفحةَ الرُّبَا
ما باله يطأُ الترابَ حافياً /// ويقطع البيد ممزَّقَ الرِّدَا
خُذْ يا نصيبُ بُردتي فغطَّهُ /// لا يلحقنَّه من العُرى أذى

زياد :

احفظ عليك البُرْدَ يا أميرَ لا /// فقرَ إليه بابن سيِّد الحمى
إن لقيس من ثياب الوشى ما /// ما يُفنى به العمر وما يُعِيي البلى

ابن عوف: (مناجيا نفسه)

يا ويحَ قلبي ما خلا من قسوةٍ /// ما باله رقّ لقيس ورثى

(يقبل على قيس):

قيسُ ، بُنيّ

زياد :

هوَ في إغماءٍ /// من وجَدَه وما أظنه صحا

(يسمع صوت حاد من ناحية نجد . ويتعالى الصوت قليلا قليلا حتى يظهر الحادي ومن ورائه قافلة تسير إلى المدينة ثم يذوب الصوت قليلا قليلا حتى ينقطع)

أنشودة الحادي:

يا نجدُ خُذْ بِالزَّمَامِ // وَرَحَّبِ
سِرٌّ فِي رِكَابِ الْغَمَامِ /// لِيَثْرِبِ
هَذَا الْحُسَيْنِ الْإِمَامِ // ابْنِ النَّبِيِّ
النُّورِ فِي الْبَيْدِ زَادُ /// حَتَّى غَمَرَ
أَحَدُ الْحَيَا فِي الْوَهَادِ // أَحَدُ الْقَمَرِ
أَحَدُ جَمَالِ الْبَوَادِ /// زَيْنَ الْحَضَرِ
ابن النبي

ابن عوف :

سمعتم؟ يا لك من // رنة حادٍ مطربٍ

زياد :

يا ليت شعري ما الركا /// ب مَنْ لواءِ الموكبِ

نصيب :

قد بين الحادي فقل // أصمُّ أنت أم غبي ؟
هذا إمام العرب /// هذا الحسين ابن النبي
هذا الزكي ابن الزكِّ // سيّ الطيب ابن الطيب
عارضنا الحسين في /// طريقه ليثرب
هذا سنا جبينه // ملء الوهاد والرُّبى
قد جلّ حاديه جلا /// ل القارئ المطرَّب

ابن عوف: (هامسا إلى نصيب)

نصيبُ ، صه لا تسلكن // بنا مسالك التهم
ولا تظاهر بالهوى /// لوارث البيت العلم
احذر جواسيس ابن هنـ // د و عيون ابن الحكم

نحن رجال دولة ۞ قوامة على الأمم
ليس بعينها عمى ۞ ۞ ولا بأذنها صمم
تسمع في ظل القصو ۞ ۞ ر همس رعيان الغنم

(إلى زياد مشيرا إلى قيس)

زياد ، انظرُ فما انفك ۞ ۞ صريع الوجدِ والذكري
كما مرّ بنا الركب الـ ۞ ۞ حسينيّ به مرّا
فلم يشغل له بالا ۞ ۞ ولم يوقظ له فكرا

زياد :

رويدا سيدي مهلا ۞ ۞ ولا تستغرب الأمر
لقد سقناه بالأمس ۞ ۞ فحجّ الكعبة الغرّا
فلما لمس الركن ۞ ۞ ومست يدهُ السترا
وقلنا الآن من ليلي ۞ ۞ ومن فتننها يبرا
سمعناه ينادي اللـ ۞ ۞ هـ من ساحته الكبرى

ابن عوف: وماذا قال؟

زياد :

ما تاب ۞ ۞ من العشق ولا استبرا
ولكن قال: يا ربّ ۞ ۞ ملكتَ الخيرا والشر
فهات الضرّ إن كان ۞ ۞ هوى ليلي هو الضرا
وإن كان هو السحر ۞ ۞ فلا تُبطل لها سحرا
ويا ربّ هب السلوى ۞ ۞ لغيري وهب الصبرا
وهب لي مَوْتَةَ الْمُضْنَى ۞ ۞ بها لا ميتة أخرى

(يقبل على قيس ويميل عليه بحنان):

حنانك قيسُ إلام الذهول /// أفق ساعةً من غواشي الخبلُ
صليلُ البغال ورجعُ الحذاء /// وضجةُ ركبٍ وراء الجبلُ
وحادٍ يسوق ركابَ الحسينِ /// يهزُّ الجبالَ إذا ما ارتجلُ
فلم يبق ماشٍ ولا راكبٌ /// على نجدٍ إلا دعا وابتهلُ
فقم قيسُ واضرع مع الضارعين /// وأنزلُ بجدِّ الحسينِ الأملُ

(يسمع صوت حاد آخر قادما إلى نجد من ناحية يثرب، على رأس قافلة أخرى، وتمر هذه القافلة كما مرة الأولى)

أنشودة الحادي:

هلا هلا هيّا اطوى الفلا طيّا /// وقربي الحيّا للنازح الصبّ
جلا جلّ في البيدُ شجيّةُ التريديّ /// كرنّة الغريدُ في الفنّ الرطب
أناح أم غنى أم للحمى حنا /// جليلُ رنا في شعب القلب
هلا هلا سيرى وامضي بتيسير /// طيري بنا طيري للماء والعشب
طيري اسقي الليلا وأدركي الغيلا /// العهد من ليلي ومنزل الحبّ
بأنه يا حادي فتش بتوباد /// فالقلب في الوادي والعقل في الشعب
يا قمرا يبدو مطلعُهُ نجدُ /// قد صنع الوجدُ ما شاء بالركب

(يفيق قيس ثم يتلفت مصغيا إلى الحذاء)

قيس :

ليلى ، مناد دعا ليلي فحفّ له /// نشوانُ في جنبات الصدر عريديّ
ليلى، انظري البيدَ هل مادت بأهلها /// وهل ترنم في المزمار داود
ليلى، نداءً بليلى رنّ في أذني /// سحرٌ لعمرى له في السمع تريديّ
ليلى، ترّدّد في سمعي وفي خلدي /// كما ترّدّد في الأيك الأغاريدُ
هل المنادون أهلوها وإخوتها /// أم المنادون عشاقٌ معاميدُ
إن يشركوني في ليلي فلا رجعتُ /// جبالُ نجد لهم صوتا ولا البيدُ
أغير ليلاي نادوا أم بها هتفوا /// فداء ليلي الليالي الخردُ الغيدُ

إذا سمعتُ اسمَ ليلي تُبْتُ من خبلي /// وثابَ ما صرَعَتْ مني العناقيدُ
كسا النداءَ اسمُها حسنا وحبَّه /// حتى كأن اسمها البشري أو العيدُ
ليلى، لعلِّي مجنونٌ يُخيَّلُ لي /// لا الحيُّ نادوا على ليلي ولا نودوا

ابن عوف :

لا تكتئب وتعال يا قيسُ استرخِ /// مما تكابد في الهوى وتلاقي

قيس :

هل أنت آسٍ يا أمير جراحتي /// أم أنت من سحر الصباة راقٍ ؟

ابن عوف :

بل من رؤاتك قيسُ من زمنٍ مضى /// لم أخلُ قيسٌ عليك من إشفاق

قيس :

قل للخليفة يابنَ عوف في غد /// من ذا أباح له دمَ العشاق
هدرت حكومته دمي فتحرَّشتُ /// بدمٍ على سيف الجفون مُراق

ابن عوف :

أرضيتني عند الخليفة شافعا /// يا قيس ؟

قيس: (في أنفة) :

لا والواحد الخلاق

بل عند ليلي فامض فاشفع لي لدى /// ليلي وناشد قلبها أشواق
جنَّتها فذكرها العهودَ وحفظها /// واذكر لها عهدي وصف ميثاق
ليلى إذا هي أقبلتُ حقنت دمي /// كرما وفكت يا أميرُ وثاقي

ابن عوف :

الآن قيسُ اذهب فبدّلْ حِلَّةً ۥ وتردّ غير ثيابك الأخلاق
فالصبح تدخلُ حيّ ليلى قيسُ في ۥ ركبى وبين بطانتي ورفاقي

قيس: (إلى زياد)

أسمعتَ ما قال الأمير؟ زياد ، طرُ ۥ نحو الحمى بجناحي المشتاق
اذهب وسلّ أُمي أعزّ ملابسي ۥ من كلّ شاميّ وكلّ عراقي
واذكر لها فضل الأمير، ولم تنزلْ ۥ نعم الأمير قلائد الأعناق

(يسير زياد نحو الحي بينما يتمسح قيس بابن عوف كالطفل)

شكرا لصنعك يا أمّ ۥ سيرُ ودمت مقصود الرحاب
عجّل أمير

ابن عوف: (ضاحكا) :

بل انتظر ۥ أنسيتَ يا قيسُ الثياب ؟

قيس :

مَنْ مُبلِّغُ أُمي الحزيبِ ۥ ننة أن عقلي اليومَ ثاب ؟
ومَنْ البشيرُ إليكِ يا ۥ ليلى بقيس في الركاب ؟
اليومَ أهلا بالحيّا ۥ ومرحبا بك يا شباب

(ستار)

الفصل الثالث

(قطعة من الصحراء تبدو في يسارها طائفة من مضارب بني عامر ممتدة إلى ما وراء اليسار على سفح جبل توباذ - خباء مضروب إلى يمين هذه الطائفة من المضارب كأنه نهاية خيام الحي - على اليمين أشجار بان يقف في ظلها ابن عوف وحاشيته وقيس وزبياد)

ابن عوف :

ترأى الحي للركبِ ||| وأشرفنا على الشعب
أفق قيس في رؤٍ ||| ية الخيمات ما يُصبي
ألا تهتف بالشكوى ||| إلى ليلي وبالعتب

قيس :

ديارَ الحي من ليلي ||| سلامٍ من شَجٍ صَبَّ
على الحي على الدار ||| على ليلي على الحبِّ
غدا الركب على طيبٍ ||| كريح المندل الرطب
فيا ليلي عسى اليوم ||| أبلُ الشوقَ بالقرب
عسى الخطبةُ لا تنز ||| لُ ف يناديك كالخطب
عساهم لا يقولون ||| فتى مشتركُ اللب
ولا يهذبُ إحساني ||| ولا يبقى سوى ذنبي
يقولون بها غنيَّ ||| لقد غنيتُ من كربي
سل تُربك كم مرَّغـ ||| ست خديَّ على التُّرب
وكم جُدْتُ على الرمل ||| ولم أبخل على العشب
بدمعٍ مل دمع التُّكـ ||| ل مغروفٍ من القلب

(ينتطلع ابن عوف إلى ناحية الحي):

ابن عوف: قيسُ انتبه قيس

قيس: من المنادي!

ابن عوف :

الحيُّ في السلاح سدَّ الوادي
وأنت قيسٌ بعدَ حينٍ غادي ٭٭٭ على خصومٍ لُدِّ شِدَاد
فالقَ الرجالَ صاحيَ الفؤاد ٭٭٭ لا تَلَقَّهم مُضَيِّعَ الرِشَاد

قيس: (متطلعا كذلك):

أُتْبِصِرُ يا بنَ عوفٍ حيَّ ليلي ٭٭٭ تَدَجَّجَ في السلاح ولا تراها
فما لي لا أَحَقِّقُ غيرَ ليلي ٭٭٭ وإن كر السواد لدى حماها
لقد ألقى هوى ليلي حجابا ٭٭٭ على عيني فلست أرى سواها
وبغضت النصيحَ إليَّ ليلي ٭٭٭ وسدَّ مسامعي عنه هواها

(يسمع من بعيد ومن بعيد ناحية الحب لجب وقعقة سلاح ويقترب الصوت ويتعالى شيئا
فشياًء)

أرى حيَّ ليلي في السلاح ولا أرى ٭٭٭ سلاحا كهجر العامريَّة ماضيا
دمي اليومَ مهدورٌ ليلي وأهلها ٭٭٭ فداءً لليلي مهدراتٌ دماييا
لي الله ماذا منك يا ليلَ طاف بي ٭٭٭ وما ذلك الساقى وماذا سقانيا
دعوني وما عندي لليلي أقوله ٭٭٭ لليلي وأستنشى الذي عندها ليا
أهيم فأستعدي نهاري على الجوى ٭٭٭ وأقبعُ ليلي أستجير القوافيا
(فما أشرفُ الأيقاع إلا صبايَّة ٭٭٭ ولا أنشدُ الأشعارَ إلا تداويا)
إذا الناسُ شَطَرَ البيتَ ولَّوا وجوههم تلمستُ ركنيَّ بيتها في صلاتيا
(أصلي فما أدري إذا ما ذكرتها ٭٭٭ أثنيتنُ صليتُ الضحى أم ثمانيا)
توراتُ وراءَ الجَمعِ ليلي فخانها ٭٭٭ فمَّ كابتسام الصبحِ يَأبى التواريا
وطيبٌ به خُصَّتْ حوى الطيبَ كلَّه ٭٭٭ فقلُّه الأقاحي أو فقله الفواعيا
فأحسستُ من فرعي لساقى هزَّة ٭٭٭ كأن عيانا منك لاقى عيانيا
دعوني وما يبقى إذا ما فنيتمُ فوالله ٭٭٭ ما شيءٌ خلا الحب باقيا
مشى الحبُّ في ليلي وفي من الصبا ٭٭٭ ودبَّ الهوى في شاء ليلي وشائيا
وإني وليلى للأواخر في غدٍ ٭٭٭ لشغلٌ كما كنا شغلنا الأواليا

(يبدو على وجهه الاصفرار والجهد ثم يترنح فيتلقاه زياد - تسمع أصوات الحي من قريب)

ابن عوف :

زياد أدركه أدركُ /// إني أرى الداءَ عادَهُ
لقد تضاءل قيسٌ /// واصفرَّ مثل الجراده
وليس قيسٌ بمُلِقٍ /// إلا إليك قياده
الآن أسعى لقيسٍ /// سعياً أخاف فساده
فَمَلُّ بنا وبقيسٍ /// حتى يُصِيبَ رشاده

(يحملون قيسا ويختفون به وراء شجر البان، وتظهر طلائع الحي من اليسار وعلى رأسها المهدي ومنازل، وكلهم شاكي السلاح)

المهدي :

يا قومُ إن البغىَ شرٌّ مركبُهُ /// والخير في جانب من يُجنَّبُهُ
هذا ابن عوفٍ قد أظَلَّ موكبُهُ /// وإن قيساً في الرِّكابِ يصحبُهُ
جاء يرومُ سهرَكم وَيَخْطُبُهُ /// وقد علمتمُ كيف ساء مذهبُهُ
وكيف طال بابنتي تشبُّهُ

صوت :

كلهُ إلى سيوفنا تَوَدُّبُهُ /// لقد وجدناه وكنا نرقبُهُ

المهدي :

لا ، دم قيسٍ دُمنا لا نَقْرَبُهُ /// يكفيه منا أننا نُخَيِّبُهُ
ونَصْرِفُ الأميرَ عما يطلبه

صوت آخر :

شيخَ الحمى لا تَضْعُفِ /// ولا تَرَدِّدْ وقِفِ
ذُدْ عن عقيلة الحمى /// وامنع حياضَ الشرفِ

لا تُضِعْ للشافعِ في /// قيس ولا المستعطفِ
ليس ابن عوفٍ في الذي /// سعى له بالمنصفِ
أبالأمير بعد ما /// أجار قيسا تحقفي!
لا تَخْشَ بأسَه ومنٌ /// رجاله لا تخف
نحن كعثمانَ وليـ /// على بيننا كالمُصحَفِ

(يظهر ابن عوف وحاشيته من وراء الشجرة ومعهم زياد)

ابن عوف: عمُّ أبا ليلي صباحا
المهدي: عمُّ صباحاً يا بنَ عوف
ابن عوف:

قل لهم يُلقُوا السلاحا /// ليس ذا موطنٍ خوفُ

صوت من الحي :

يا بن عوف يا أميرٍ /// ليس ذا شأنَ الوِلاةِ
كيف تحمي وتُجيرُ /// مُستبيحَ الحرُماتِ ؟

ابن عوف :

عامرُ يا أجاوِدَ البِطاحِ /// وأسمَحَ الناسَ بَطونِ راحِ
ما لي وللسيوفِ والرماحِ /// ضيفٌ أنا ، وما من السماحِ
رَدَّكَ وجهَ الضيفِ بالسلاحِ /// ما جئْتُكم يا قومُ للكفاحِ
بل جئْتُ للتوفيقِ والإصلاحِ

(تحدث ضجة في جانب الحي وتصايح وتهامس ثم يلقي كثير منهم السلاح ويغمد السيوف)

صوت من الحي :

يا أبا ليلي بليلي /// جُدْ لقيسٍ بالحياةِ
إنه شاعرٌ نجدٍ /// ونَجِيُّ الطَّبَّياتِ

صوت آخر :

قيسُ أخُ وابنُ عمِّ /// وليس أهلاً لذمِّ
نجمٌ أضاءَ بنجدٍ /// سما على كل نجم
هبوه جنُّ بليلى /// ليس الغرام بجُرم

منازل: (حيث يستقبل الجمعين خطيباً)

إن قيساً معشرَ الحي أخُ /// وابن عمِّ أئمنه تبرأون؟

أصوات: لا ورب البيت

منازل :

أصغوا لي إذنُ /// ثم ظنوا كيف شئتم بي الظنون
إن قيساً شاعرُ البيد الذي /// لا يُجارى أفأنتم مُكروُن؟

أصوات: لا ورب البيت

منازل :

أصغوا لي إذنُ /// ثم ظنوا كيف شئتم بي الظنون
إن قيساً سيِّدٌ من عامرٍ /// وابن سادات ، أفيه تمترون؟

أصوات: لا ورب البيت

منازل :

أصغوا لي إذنُ /// ثم ظنوا كيف شئتم بي الظنون
إن قيساً قد بنى المجد لكم /// ولنجدٍ أبقيس تكفرون؟

أصوات: لا ورب البيت

منازل :

أصغوا لي إذن ١١١ ثم ظنوا كيف شئتم بي الظنون
إن قيساً كاملٌ في عقله ١١١ أو أنستم على قيس الجنون ؟

أصوات: لا ورب البيت
منازل :

أصغوا لي إذن ١١١ ثم ظنوا كيف شئتم بي الظنون
أنا لم أعدل بقيس شاعراً ١١١ لا ولا أنتم بقيس تحدلون ؟

أصوات: لا ورب البيت
منازل :

أصغوا لي إذن ١١١ ثم ظنوا كيف شئتم بي الظنون
أنا في ودّي وإعجابي به ١١١ لا يدانيني الرواةُ المعجبون
شعره يبقى ويفنى غيره ١١١ ليس كل الشعر ترويه القرون
شعر قيس عبقرى خالداً ١١١ ليته لم يتخلله المجون
ولو أن المتجنى شاعر ١١١ غير قيس أو شك الخطب يهون
رُب شعرٍ قال في ليلي ، به ١١١ هتف البدو وضج الحاضرون
إنني أخشى عليكم عاره ١١١ رُب عار ليس تمحوه السنون
ضجرت ليلي وضجت أمها ١١١ وأبوها وتأذى الأقربون
وغدا كل فتى من عامر ١١١ حين يلقي الناس، محني الجبين

أصوات كثيرة: هو ما قلت
منازل :

إذن ما بالكم ١١١ لم تثوروا، ما لكم لا تغضبون؟
هو ذا قيس مع الوالي أتى ١١١ يظأ الحي وأنتم تنظرون
وأبو ليلي امرؤ أدري له ١١١ رقة القلب وأخشى أن يلين
بعد حين يعبث الثوم بكم ١١١ ومن الحي بليلى يخرجون
آن يا قوم لكم أن تعلموا ١١١ أن قيساً هتك الخدر المصون
قيس لم يترك ليلي حُرمة ١١١ ما الذي أنتم بقيس فاعلون ؟

صوت: ماجنٌ لا بدّ من تأديبه
صوت آخر: إنّ بالسَّوْطِ يُرَبِّي الماجنون
صوت: نأخذ الحيّ عليه
آخر :

ولنفق /// دون ليلى وحماها كالحصون

منازل :

حلّ السلطان بالأمس لكم /// دمّ قيسٍ ما الذي تنتظرون

صوت :

حلّ السلطان بالأمس لنا /// دمّه!

أصوات أخرى: إنا بقيسٍ فاتكون
(ضجيج واندفاع)
صوت :

مُناز ، يابنَ العم ما هذا الخبرُ /// رفعت قيساً فجعلته القمرُ
والآن أغريبَ بقتله الزُّمَرُ /// كفعل جزّار اليهود بالبقر
برأها من العيوب وعقرُ

(يصعد بشر منبرا للخطابة فيجتمع حوله جماعة من الناس)

قائل :

ارجعوا يا قومُ هذا منبرٌ /// وخطيب

(يسأل أحدهم): ليت شعري من يكونُ

آخر: أو أعمى أنت هذا بشرُ
آخر :

هل /// يحسن الخطبة بشرُ ويبين

(يحاول منازل أن ينسل من الجماهير):

بشر :

قف منازل اسمع سمعت الرعد /// من جانبي صاعقة فيها المنون
وسمعت الذئب في جوز الفلا /// وسمعت الليث في جوف العرين
أخطيب أنت أم خطب وإن /// لم تهن والخطب أحيانا يهون

منازل: (صائحا): بشر ،

بشر: قف!

منازل :

ما لك يا بشرُ ولي ؟ /// إن حرب الأهل والصحب جنون

بشر :

لم إذن حاربت قيساً لم تصن /// حرمة ابن العم أو حق الخدين ؟

منازل: قلتُ بشرُ الحقّ

بشر :

خلّ الحق ما /// أنت والله على الحق أمين
إنما أنت لقيس حاسدٌ /// منطوي الصدر على الحقد الممين
كلما حدثت عنه عامراً /// قرأت في وجهك الداء الدفين
ترسلُ الزفرة تتلو أختها /// وتفسُّ الصدر من حين لحين
يا منازل يا بن عمي أصغ لي /// أنت دون أنت دون أنت دون!

منازل: دعوني

بشر: (من المنبر): دعوني فلا بدّ لي

رجل: أناتك

بشر: لا بد أن أقتله

منازل: دعوني

بشر: دعوني

رجل: دعوه اتركوه

آخر: ومن كتف النذل أو كبّله ؟

منازل: دعوني

رجل: دعوني

آخر: كلا البطلين يقولُ الوعيد ولن يفعله

بشر: دعوني

رجل: تقدّم

منازل: دعوني

رجل : انطلق

بشر : دعوني

رجل: جنّه

منازل: دعوني

رجل: امش له

آخر :

تتحوّوا واخلّوا سبيليهما ||| ولا تخشوا الوقعة المقبلة

بشر: منازل في عقله كاملٌ

منازل: وعقلك يا بشر ما أكمله

بشر :

أنزرو على الحيّ نزوً ||| الديوك ونقفزُ كالأكبش المُرسلة

وتفلقُ رأسي كرمانة ||| وأفلقُ رأسك كالحنظله

فماذا يردُّ عليك العويلُ ||| وماذا انتفاعي بالولولة

زياد :

منازلُ كنت كثير الكلام /// والله ما قلت إلا الكذبُ

صوت :

أتزعمه كاذبا يا زيادُ /// وقد زاد عن حُرُمات العرب

زياد :

رويدك لا تتخذع يا فتى /// ولا تأخذ الأمر دون السبب
فلم يبلغ إلا خداعَ الجموع /// وجلبَ الظنون وخلق الريب
وأثرَ فيكم وفي آخرين /// وأفرغ فيكم سُومَ الرُقُبُ

صوت :

منازل دافع عن سنّة /// مُعظمةٍ من قديم الحقب

زياد :

تأمل منازل سُخطَ الجموع /// وجهلكَ ماذا عليهم جلبُ
أجل قد غضبت ولكنما /// لنفسك ليس لليلي الغضب
تحضُّ على قتل الرجال /// لتحظى بليلى إذا ما ذهب

أصوات: يريد ليحظى بليلى؟

زياد: نعم

صوت: تكلم

صوت آخر: أين

ثالث: إن هذا عجب

زياد :

ألم يكُ يغشى الندى /// ويطلب ليلى أشد الطلب

صوت يخاطب المهدي:

إذن كان يخطب ليلى؟

المهدي: نعم

صوت: إذن قد تجنّى

صوت آخر: إذن قد كذب

زياد :

منازلُ، قل لهم كم ضرعُ ۞ ستَ لليلى وكم أعرضتُ لم تجبُ

صوت: منازلُ ، اخدعُ وغُشَّ

آخر: قد جاز إلا عليّ كذبكُ

ثالث :

ما أنتَ إلا جو شقيُّ // تحبُّ ليلى ولا تحبكُ

(تحدث ضجة حول منازل ويقف ثلاثة رجال في ركن قصي من أركان المسرح يتحدثون)

الأول :

قد اختلف الحيُّ في أمر قيسٍ ۞ وليلى فكلُّ له مذهبُ

وأنت إلى أي رأي تميل وأي الفريقين // تستصوبُ

الثاني :

إذا صدقتُ نظرتي في الأمور ۞ ولي نظرة قلّما تكذب

منازلُ غاد على حيبةٍ // وقيسُ على فضله أخيبُ

وقد يُخفقان ويلقى النجاحَ ۞ غريب له فيكم مأرب

الأول: غريب؟

الثاني: أجل من نواحي ثقيف

الأول: ومن ذلك؟

الثاني: وردُ

الأول: وما يطلب؟

الثالث :

رأيناه في الحي يمشي الحياء /// وقيل أتى عامرا يخطبُ

الأول :

وليلي ابنة الشيخ ما رأيها /// أما من حساب لها يُحسب ؟

الثاني :

أراها وإن لم تخطَّ الشبابَ /// عجزوا على الرأي لا تغلب
وتصونُ القديمَ وترعى الرميمَ /// وتعطي التقاليد ما توجب
وبالجاهلية إعجابها /// إذا قل بالسلق المعجب
زمن سنةً البید نفض الأكف /// من العاشقين إذا شَبَّوا
فلا تعجبوا إن جرى حادثٌ /// يُحدث عنه ويستغرب
وإن رضيتُ وردَ بعلا لها /// وقيس الأحبُّ لها الأقرب
فيا طالما التمسست مهربا /// وأرض تقيفٍ هي المهرب

منازل :

بني عامر لا تُضيعوا الطلومَ /// فإن الأناة بكم أجملُ
هَبُوا لي آذانكم إنني /// أجدُّ وصاحبكم يَهْزَل
خطبتُ وأخطبُ ليلي غداً /// وما لي يا قومُ لا أفعل
وقد تُعرضُ اليومَ ليلي فلا /// أَضيقُ ، عسى في غدٍ تُقبِل
فما قيسُ أجدر مني بها /// ولا هو خيرٌ ولا أفضل

زياد :

إليك منازل ! لا تتزَنُ /// بقيسٍ قد اختلف المنزلُ
ولا يستوي الشاعرُ العبقريُّ /// ومن هو من باقل أبقلُ

منازل: وما أنت؟ بيّن لنا يا زياد

زياد: (ممسكا بذراع منازل)

ستعلم منّي ما تجهل

هلمّ منازل، هلم الصراخ! /// وودّع ضلوعك وانع الذراع

منازل: خلّ زياداً عن ذراعي

زياد: سألت ما أنت؟ فأصغ، راع:

إني أنا ممزّق الأضلاع

(ثم يجرّه من ذراعه ويمضي به إلى خارج المسرح)

صوت: ماذا يكون يا ترى؟

آخر: هيووا نرى هيووا نرى

آخر: (وهم يتدافعون)

زياد غير هازل

آخر: نوحوا على منازل

آخر: حمامة وبازي

آخر: هلكت يا منازل

آخر: (من بعيد): اهرب من البراز

(يخلو المسرح الآن إلا من المهدي وابن عوف ونصيب ثم تسمع صرخة من وراء الشجر)

المهدي: ما بقيس يا بن عوف؟

ابن عوف: إنه مُغمى عليه

المهدي :

قيسُ لا بأسَ /// عليك كبروا في أذنيه

(صوت من وراء الشجر)

الله أكبر /// الله أكبر

ابن عوف (لنفسه)

سُدَى كَبُرُوا مَا أَدْنُ قَيْسٍ مَفِيقَةً /// وَإِنْ سَكَبُوا فِيهَا أَدَانَ بِلَالٍ
وَلَكِنْ عَلَى لَيْلَى يَفِيقُ وَشَبَّهَهَا /// إِذَا مَا بَدَتْ لَيْلَى بِشَكْلِ غَزَالٍ
وَيَصْحُوا عَلَى لَيْلَى إِذَا رُدَّدَ اسْمُهَا /// وَرَاءَ بَيْوتٍ أَوْ رَاءَ رِحَالٍ

المهدي :

دَمُ الْوُدِّ وَالْقَرِيبَى وَإِنْ كَانَ ظَالِمًا /// عَزِيزٌ عَلَيْنَا أَنْ نَرَاهُ يَسِيلُ
وَإِنِّي لِلْإِنْسَانِ وَإِنِّي لَوَالِدٌ /// وَلِي مَذْهَبٌ فِي الْوَالِدِينَ جَمِيلٌ
فَرَفَقًا بِقَيْسٍ يَا أَمِيرَ وَنَحَّه /// بَعِيدًا لَعَلَّ الشَّرَّ عَنْهُ يَزُولُ

ابن عوف :

أَنَاةً أبا لَيْلَى وَحَلْمًا وَلَا يَكُنْ /// عَلَيْكَ لَطِغْيَانُ الظُّنُونِ سَبِيلُ
رَدَدْتُمْ رِكَابِي وَاتَهَمْتُمْ زِيَارَتِي /// وَأَجْلَبَ فِتْيَانٌ وَضَجَّ كَهُولُ
تَأْمَلُ تَجْدُ جَمْعًا مَغِيظًا وَكَثْرَةً /// تَصُولُ وَمَا تَدْرِي عِلَامَ تَصُولِ
رَعُوسٌ تَنْزَى الشَّرُّ فِيهَا وَرَاءَهَا /// نَفُوسٌ ذُنَابٌ مَا لَهْنٌ عَقُولِ
تَطَلَّبُ أَنْ يُلْقَى إِلَيْهَا بِجُثَّةٍ /// عَلَى غَيْرِ جَوْعٍ أَوْ يُسَاقَ قَتِيلِ
نَوَاطِرُ مَا يَأْتِي بِهِ الْيَوْمُ مِنْ دَمٍ /// وَإِنْ لَمْ يُسَاوِرْهَا صَدَى وَغَلِيلِ
نَزَلْتَ فَلَمْ أُكْرَمَ فَهَلْ أَنْتَ مُتَّبَعِي /// وَقَوْمِكَ نَارَ الطَّرْدِ حِينَ أَمِيلِ
أَبَيْتُمْ عَلَيَّ الْقَوْلَ قَبْلَ اسْتِمَاعِهِ /// فَلَمْ تُتَّصِفُوا وَالْمُنْصَفُونَ قَلِيلِ
فَهَلْ لِي أبا لَيْلَى بِنَادِيكَ وَقَفَّةً /// فَإِنَّ الَّذِي قَدْ جِئْتُ فِيهِ جَلِيلِ
وَمَا أَنَا مَرَّةُ السَّوَاءِ أَوْ رَجُلُ الْأَذَى /// وَلَكِنْ سَفِيرٌ خَيْرٌ وَرَسُولُ
وَلَمْ أَتَّخِذْ جَاهَ الْأُمُورِ ذَرِيعَةً /// أَلَا إِنَّمَا جَاءَ الْأُمُورُ يَزُولُ
المهدي بقيتم بخير يا ولاة أمية /// ولا زال يقوى ركنكم ويطول

(مشيرا إلى باب الخباء):

هنا مجلسٌ نأوي إليه لعنني /// أقول صوابا أو عساک تقول
وَتَمَّ تَرَى لَيْلَى وَتَسْمَعُ قَوْلَهَا /// وَلَيْلَى لَهَا رَأْيٌ يُسَاقُ جَمِيلُ
فَسَلِّهَا عَسَى أَنْ نَهْتَدِي مَا جَوَابُهَا /// إِيَاءَ وَرَدُّ أَوْ رَضَى وَقَبُولُ ؟

(يهم ابن عوف بخلع نعليه)

المهدي :

أَتَخَلُّعُ نَعْلَيْكَ ! لَا يَا بَنَ عَوْفٍ ۖ ۖ ۖ نَشَدْتُكَ بِالله لَا تَفْعَلِ
أَتَمْشِي إِلَى مَنْزَلِي حَافِيَا ۖ ۖ ۖ فِدَيْتُكَ ، مَنْ أَنَا ! مَا مَنْزَلِي !
ابن عوف: خَلَعْتُهَا وَانْتَعَلْتُ التَّرَابَ ۖ ۖ ۖ إِلَى خِيْمَةِ السَّيِّدِ الْمُفْضِلِ

نصيب: (متدخلا)

دَعُهُ يَا مَهْدِيُّ يَفْعَلُ ۖ ۖ ۖ إِنَّمَا يَرْمِي لِمَعْنَى
كَالْحَسِينِ بْنِ عَلِيٍّ ۖ ۖ ۖ هُوَ بِالْعَشَّاقِ يُعْنَى
الْحَسِينِ انْتَعَلَ التَّرَابَ ۖ ۖ ۖ بَ إِلَى وَالِدِ ابْنِي
فَرَأَاهُ حَافِيَا فِي ۖ ۖ ۖ سَاحَةِ الدَّارِ فَجُنَّا
قَالَ لَا أَمْلِكُ يَا بَنَ الْـ ۖ ۖ ۖ مَصْطَفَى بِنْتًا وَلَا ابْنَا
أَنْتَ فِي الدَّارِ أَمِيرٌ ۖ ۖ ۖ فَبِمَا شَتَّتَ فَمُرْنَا

لنفسه :

يَا دَهْرُ دُرِّ بَمَا تَشَا ۖ ۖ ۖ وَيَا حَوَادِثُ أَهْزَلِي
وَيَا وَظِيْفَةً أَعْرَبِي ۖ ۖ ۖ وَيَا جَرَايَةَ أَرْحَلِي
يَبْغِي ابْنُ عَوْفٍ أَنْ يَكُو ۖ ۖ ۖ نَ كَالْحَسِينِ بْنِ عَلِيٍّ !

(يدخلان وينادي المهدي)

هُوَ الضَّيْفُ يَا لَيْلَ هَاتِ الرُّطْبَ ۖ ۖ ۖ وَهَاتِي الشَّوَاءَ وَهَاتِي الْحَلْبُ
وَهَاتِي مِنَ الشَّهْدِ مَا يُشْتَهَى ۖ ۖ ۖ وَمَنْ سَمَنَةَ الْحَيِّ مَا يُطَلَّبُ
فَمَا هُوَ ضَيْفٌ كَكَلِّ الضِّيُوفِ ۖ ۖ ۖ وَلَكِنْ أَمِيرٌ كَرِيمٌ الْحَسْبُ

ليلي: (وراء حجاب)

أبي ألف لبيك

ابن عوف :

لا بل قفي /// فما بي ظمأً ولا بي سغبُ
وأعلمُ أن القرى دينكم /// وأن أباك جوادُ العربُ
ولكن طعاميَ

المهدي: ماذا ؟ اقترح

ابن عوف: طعامُ الرسول بلوغُ الأربُ

المهدي: إذن قفي ليلي أقربي

(تظهر ليلي من وراء الستر):

تقدمي ورحبي

حل ابن عوف دارنا

ليلى :

أكرم به وأحب
قد زارنا الغيثُ فأهـ /// لـاً بالغمام الصيب

ابن عوف :

أهلاً بليلى بالجماء /// ل بالحجى بالأدب
عشتِ وقيساً فلقد /// نوّهتما بالعرب

ليلى: (بين الخجل والغضب):

أتقرن قيساً بنا يا أمير؟

ابن عوف :

ولم لا وقد جئتُ من أجله
ومن أنا حتى أضمّ القلوبَ /// وأعطف شكلاً على شكله
لقد جمع الحب روحيكما /// وما زال يجمع في حبله

ليلى(في استحياء)

أجل يا أمير عرفت الهوى
ابن عوف: فهلا عطفتِ على أهله؟
(يلتفت إلى المهدي):

أبا العامرية قلبُ الفتاةِ ||| يقول وينطقُ عن نبله
فأصغ له وترفقُ به ||| ولا يسعَ ظلمك في قتله

المهدي:

أأظلم ليلى؟ معاذَ الحنانِ ||| متى جار شيخٌ على طفله ؟
هو الحُكْمُ يا ليلَ ما تحكمينِ ||| خُذي في الخطابِ وفي فصله

ليلى: أقيساً تريد؟

ابن عوف: نعم!

ليلى:

إنه ||| منى القلبِ أو مُنتهى شغلِهِ
ولكن أترضى حجابي يُزالُ ||| وتمشي الظنون على سدله
ويمشي أبي فيغضُّ الجبينَ ||| وينظرُ في الأرض من ذله
يداري لأجلي فضولَ الشيوخِ ||| ويقتلني الغمُّ من أجله
يمينا لقيتُ الأمرينِ من ||| حماقة قيسٍ ومن جهله
فضحتُ به في شعابِ الحجازِ ||| وفي حَزْنِ نجدٍ وفي سهله
فخذُ قيسُ يا سيدي في حماك

(في حياء وإباء)

وألِقِ الأمانَ على رَحْلِهِ
ولا يفتكرِ ساعةً بالزواجِ ||| ولو كان مروانُ من رُسله
ابن عوف: إذن لن تقبلي قيسا ||| ولن ترضيَ به بعلا
إذن أخفق مسعايِ ||| وخاب القصدُ يا ليلى

ليلي :

على أنك مشكورٌ /// ولا أنسى لك الفضلا
وأوصيكَ بقيسَ الخيبِ /// رَ لا زلتَ له أهلا
لقد يُعوزُه حامٍ /// فكُنْه أيها المولى

(تلنفت إلى أبيها وكأنما تحاول أن تحبس في عينها دموعا)

أبي كان وردًا ها هنا منذ ساعةٍ /// ففيم أتى ؟ ما يبتغي؟

المهدي: جاء يخطبُ

ابن عوف: ومن وردٌ يا ليلي وهل تعرفينه ؟

ليلي :

فتى من تقيف خالصُ القلب طيبُ
أتى خاطباً بعد افتضاحي بغيره /// وعاري ، أهذا يا بن عوف يُخيَّبُ ؟
أبي، أين وردُ الآن ؟

المهدي :

عند قرابةٍ /// من الحيِّ ضمّوه إليهم ورحّبوا
فإن شئتِ أرسلنا إليه

ليلي :

ابعتِ ادعُهُ /// وجئنا بقاضي نجدٍ اليومَ يكتب

ابن عوف :

تجاوزت ليلي غايةَ السُّخْطِ فاذكري /// عواقب رأيٍ قد رأيتِ سخيْفِ

ليلي: (متهكمة)

أكنتُ ابنَ عوفٍ غيرَ أنثى ضعيفةٍ /// تناهتُ لرأي في الأمور ضعيف

ابن عوف :

أرى وفتي يا ليلَ كانت شريفةً /// ولكن جزائي كان غيرَ شريفٍ

ليلي :

أنظفُ ثوبي يا أميرُ فطالما /// ظهرتُ به في الحيِّ غيرَ نظيف

ابن عوف :

لئن كنت يا ليلي بوردٍ قريرةً /// فإنني على قيسٍ لجدُّ أسيف

(ثم يخاطب أباها):

الآنَ بحفظ الله يا سيد الحمى /// لقد طال لبثي عندكم ووقوفي

ووقفتُ يا ليلي

ليلي :

لقد كنتَ سيدي /// حليفا لقيس هل تكونُ حليفي

ابن عوف :

سألتُ مُحالاً إنما جنئتُ خاطباً /// لورد القوافي لا لورد تقيف

(يخرج من باب الخباء ويشيعه المهدي إلى ما وراء شجر البان)

ليلي :

رَبَاهُ مَاذَا قَفَلْتُ مَاذَا كَانَ مِنْ ۞ شَأْنِ الْأَمِيرِ الْأَرِيحِيِّ وَشَانِي ؟
فِي مَوْقِفٍ كَانَ ابْنُ عَوْفٍ مُحْسِنًا ۞ ۞ فِيهِ وَكُنْتُ قَلِيلَةَ الْإِحْسَانِ
فَرَعَمْتُ قَيْسًا نَالَنِي بِمَسَاءَةٍ ۞ ۞ وَرَمَى حَجَابِي أَوْ أزال صِيَانِي
وَالنَّفْسُ تَعْلَمُ أَنَّ قَيْسًا قَدْ بَنَى ۞ ۞ مَجْدِي وَقَيْسٌ لِلْمَكَارِمِ بَانِي
لَوْلَا قِصَائِدُهُ الَّتِي نَوَّهَنَ بِي ۞ ۞ فِي الْبَيْدِ مَا عَلِمَ الزَّمَانُ مَكَانِي
نَجْدٌ غَدًا يُطَوِّى وَيَفَنِّى أَهْلُهُ ۞ ۞ وَقَصِيدُ قَيْسٍ فِيَّ لَيْسَ بِفَانِي
مَالِي غَضِبْتُ فِضَاعَ أَمْرِي مِنْ يَدِي ۞ ۞ وَالْأَمْرُ يُخْرِجُ مِنْ يَدِ الْغَضْبَانِ
قَالُوا انظُرِي مَا تَحْكَمِينَ فَلَيْتَنِي ۞ ۞ أَبْصَرْتُ رَشْدِي أَوْ مَلَكَتْ عَنَانِي
مَا زِلْتُ أَهْذِي بِالْوَسَاوِسِ سَاعَةً ۞ ۞ حَتَّى قَتَلْتُ اثْنَيْنِ بِالْهَذْيَانِ
وَكَأَنِّي مَأْمُورَةٌ وَكَأَنَّمَا ۞ ۞ قَدْ كَانَ شَيْطَانٌ يَقُودُ لِسَانِي
قَدَّرْتُ أَشْيَاءَ وَقَدَّرَ غَيْرَهَا ۞ ۞ حَظٌّ يَخْطُ مَصَائِرَ الْإِنْسَانِ

(ستار)

الفصل الرابع

المنظر الأول

(حول ديار بني ثقيف، في قرية من قرى الجن، حيث اجتمعت طائفة منهم للحفاوة بقيس وهو يهيم على وجهه ضالا في الفلوات، وبينهم شاب منهم في شكل إنسي جميل الثياب يتردى الحرير من فرعه إلى قدمه، وعلى رأسه عقالان من الحرير المحلى بالذهب، هو الأموي شيطان قيس - الجميع ينشدون ويرقصون).

نشيد الجن :

هذا الأصيل كالذهب ۞ ۞ ۞ يسيلُ بالمرأى عجبُ
على الوهاد والكُثبُ
الرقصُ يبعثُ الطربُ ۞ ۞ ۞ هلمَّ يا جنَّ العربُ
هلمَّ رقصةَ اللهبِ ۞ ۞ ۞ إذا مشى على الحطبِ
نحن بنو جهنمًا ۞ ۞ ۞ نغلي كما تغلي دَمًا
نتور في الأرض كما ۞ ۞ ۞ ثار أبونا في السما
نحن بنو الجبارِ ۞ ۞ ۞ العلمُ المنارِ
إبليسَ بكرِ النارِ ۞ ۞ ۞ يا عزَّ من له انتمى
نحن الرعود القاصفةُ ۞ ۞ ۞ نحن الرياحُ العاصفه
والظلماتُ الزاحفه ۞ ۞ ۞ عرمرمًا عرمرمًا
لنا وما لنا صور ۞ ۞ ۞ نرى ونسمع البشر
ولا يرون من حضر ۞ ۞ ۞ منا ومن تكلمنا
نقول حين نصطدم ۞ ۞ ۞ بسادةٍ أو بخدم
صمم صمم صمم ۞ ۞ ۞ عمى عمى عمى عمى

هبيد :

فيمَ اجتمعنا ها هنا؟ ۞ ۞ ۞ يا عَضْرَفُوتُ ما الخبرُ ؟

عضرفوت :

لا أدري ، تلك ضجَّةٌ ۞ ۞ ۞ حضرتها فيمن حضر
فسل أخاك عَسْرًا

هبيد: ماذا هناك يا عسرُ ؟

عسر :

نحن مسوقون إلى ۞ ۞ ۞ ما ليس ندري كالبقرُ

الأموي :

بني الجن في أرضكم عابراً /// من الإنس يرسفُ في ضُرَّة
فغالوا به واعلموا أنه /// فتى نَبه الشعر من قدره

هبيد: وأين ترى هو؟

آخر: ماذا يكون؟

الأموي :

وماذا يهكم من أمره؟

ألم تعلموا أن لي صاحباً /// من الإنس أحكمُ في شعره

هبيد :

أجل أنت تُوحى له ما يقولُ /// وتقذف ما شئت في فكره

الأموي :

إذن فاعلموا أنه عاشق /// تملأت البيد من ذكره

عاصف :

وأعلم أن الهوى واحد /// حوى المستهامين في أسره
وأن التي سحرت قلبه /// مدَّهة القلب من سحره

الأموي :

وإني لأكفلُ ليلي له /// وأصرفها عن هوى غيره
سهرتُ على طهر ليلي الزمان /// ولم أغمض العينَ عن طهره
صرفتُ عن الحب حتى الزواج /// وما قدسَ الله من سره
ولو أن عيني تشقُّ القُبورَ /// سهرتُ على الحب في قبره

عزرفوت: ومن يكون؟

الأموي: قيس

عضرفوت: من قيس؟

عاصف :

وهل يخفى القمرُ
الشاعر الذي سحر /// والساحر الذي شعرَ
حَنجَرَةٌ لنا وترٌ ||| منها وللإنس وتر

هبيد :

وما لنا يا عضرفو /// تٌ ولفنيان البشرُ ؟
وما لقينا منهم ||| ومن أبيهم غير شر؟

عضرفوت: بني الجن اسمعوا أبكم زكامٌ

جني :ولم؟

عضرفون: ننتت لعمركم الجواءُ

آخر: وما في الجوِّ ؟

عضرفون :

ريحٌ آدميٌّ /// ففيه نتانة وله ذكاء
إذا البشري مرَّ على يوماً ||| فقد مرت عليّ الخُنُفُساء

جني :

أجل بعداوة البشر ابتلينا /// وطال بها التبرم والعناء
مضى بالكبر إيليسُ أبونا ||| وكل تراثِ آدم كبرياء
يعيب رجالهم فيقال عينا /// وتدفن عارها فينا النساء
وإن عجزَ المطبَّبُ قال داءٌ ||| من الجنِّي ليس له دواء
وإن قفزت صغارهم فزلتُ /// فمنا معشرَ الجن البلاء
وخفنا من أذاهم فاحتجبنا ||| فما عصم الحجاب ولا الخفاء
وكم متعوِّذٍ بالله منا /// تعوذ الأرض منه والسماء

عضرفوت :

وقد نشكو من الناس التجني /// وننسى ما جناه الأنبياء

جني :أرسلُ اللهُ أيضاً من عدانا؟

عزرفوت :

أجل هم في عداوتنا سواءُ
بني فحماً سليمانُ وضخماً /// ولولا الجن ما نهض البناء
بنينا تدمر الكبرى بأيدي /// فهل تدرون ما كان الجزاء ؟

جني : وما كان الجزاء؟

آخرين: أين؟!

عزرفوت :

عذابٌ /// وسجنٌ ما لمدته انقضاء
فتحت الماء

جني :تحت الماء؟

عزرفوت :

عانٍ /// عليه طلاسٌ وعليه ماء
وفي جوف القماقم لو علمتم

آخرون: وماذا في القماقم ؟

عزرفوت: أبرياء

جني: ومن ذا رجّهم فيها ؟

عزرفوت :

أميرٌ /// علينا لا يُردّ له قضاء
نبيُّ فهو عدلٌ حيثُ يقضي /// وملك فهو يفعل ما يشاء

عاصف :

قيس يا قوم منكم /// ليس قيسٌ من البشر

جني :

قيس منا وإنما /// في بني عامرٍ ظهر

آخر :

إبني قد رأيتَه /// يتقلَى على الشجر

ثالث :

وسمعناه قد عوى /// عوّة الجنّ واستتر

رابع :

أنا أيضاً رأيتَه /// ركب الطيّبِ في السفر

عاصف: (متطلعاً): تعالوا فانظروا

(يتطلع الجميع حيث ينظر)

جني: ماذا؟

آخر: عجيبٌ

عصفوت: نرى شبحاً يدرجه الفضاء

أقيسٌ ذا؟

عاصف :

نعم هو فاستعدوا /// فقد وجب التحفز واللقاء

هبيد: (لجني آخر):

تأمل قيساً المُنصَى تجده /// من الذّوبان أصبح كالخيال

الآخر :

لقد ضلَّ الطريقَ أما تراهُ ||| يُصَفِّقُ باليمينِ وبالشمالِ ؟
وقد قلبَ الثيابَ عليه نَهْجاً ||| على عاداتهم عند الضلال

(يظهر قيس فيلتفون حوله وينشدون):

الجان :

سلامٌ ملكَ الحبِّ ||| وسلطانَ المحبينا
وأهلاً وعلى الرحبِ ||| لقد شُرِّفَ وادينا
أتى الجن من الوادي ||| يحيونك بالورد
حدا ركبهم الحادي ||| إلى ناديك من بُعدٍ

(يلتفت قيس ذات اليمين وذات الشمال)

قيس :

ربُّ إلى أين انتهت بي السُرى ||| وأيِّ واد أنزلتني يا تُرى
عسايَ في الشامِ ، لعلِّي جزتهُ ||| أو أنا بالطائف أو أين أنا
وهذه المُسوخُ حولي جِنَّةٌ ||| أم عمل الوهم وتهويل الكرى
لا ، أنا صاحِ

(يتحسس جسمه)

هذه رجلي وذِي ||| يدي وتلك مقلتي يقظي تَرَى
ولم لا أومنُ بالجنِّ وأنَّ ||| تكون للجنة كالناس قُرى؟
لا أدعي معرفةً بعالمٍ ||| ظاهره أكثر منه ما اختفى

(يمسح جبينه ويعيد النظر والتطلع):

تلك من الجنِّ لعمرى شِرْذِمَةٌ ||| وهذه خيلهم المُسوِّمَه
نعامة كالفرس المطَّهَمَه // وأرنبٌ مُسْرَجَةٌ وملجمه
وقُنْفُذٌ وظبيَّةٌ وشيَّهَمَه

يا عجباً كلِّ العجبِ ||| الجنُّ مني عن كَثَبِ
سوْدٌ دقاقٌ في العيو // ن كالدخانِ في الحطبِ
يخرجُ من أفواهاها ||| ومن عيونها اللهبُ
من كلِّ من جال بقرَ // نيه وصال بالذنبِ

: الجان :

نَبِيَّ الحبِّ لا تخشِ ||| أذىً أو شِرَّةً منا
عطفت الطير والوحشا // فلم لا تعطفُ الجنا ؟
وسلَّ حسانَ والأعشى ||| وشيطانَيْهِمَا عنا

: الأموي :

تركتُ ورائي الشامَ لم أنتفع به // ولا هو من شوقي القديمِ شفاني
وعدتُ إلى نجدِ أفاصي صبابتي ||| ووجدني كأني ما بَرِحْتُ مكاني
تركتك ليلي فأنفجرت لياليا // مؤلفَةَ الأشكالِ جدِّ حسانِ
فلم يخلُ سيّري منك يوماً ولا السرى ||| ولم يخلُ من تمثالِكَ القمرانِ
على كلِّ أرضٍ من هوائِكَ سوارخُ // ملأَن سبيلي أو ملكنِ عناني
(وأجهشتُ للتوباد حين رأيتَه ||| وكبّر للرحمن حين رأني)
(واذريتُ دمع العين لما عرفته // ونادى بأعلى صوته فدعاني)

(يدنو منه قيس ويتأمله)

قيس: (لنفسه):

يا ويح عيني ما ترى: ||| وويح أذني ما تعي!
وأين عقلي؟ غاب عنـ // سي اليوم أو عقلي معي ؟

الشعر لي مُذ قَلْتُهُ ||| من شَفْتِي لم يُسْمِع
من ذا الذي أوحى به ||| لذا الغلام المُدَّعي ؟

(يقترِب من الشاب ويأخذ في انتقاده):

عقالان يمانياً ||| ن من وَشَى وعِقيان
يُضيينان كَلْمَح الشمـ ||| س في جِلْدَة ثعبان
وأين الشفقُ الأحمـ ||| رُ من مطرفك القاني ؟
وقد تقربُ في الروعـ ||| ة من أملاك غسان
وقد تبلغ في الشعر ||| إلى رقة حسان
فما شأنك يا هذا ؟

الأموي: وما يعينك من شاني ؟

قيس :

أرى سارق أشعارٍ ||| جريئاً ما له ثاني
فقد يُسْطى على بيتٍ ||| وقد يُسرق بيتان
ولا ينتحل الإنسا ||| ن أبياتاً لإنسان
وما أنشدت من شعرٍ ||| فمن صناعي وإحساني
ولم أهتف به بعدُ ||| ولم تسمعه أذنان
فمن أنت ومن أين ||| أتت أذنك ألحاني

الأموي :

أنا الملقى عليك الشعـ ||| ر من أن إلى أن
أنا الهاجس والشيطا ||| ن

قيس: لا ، لا ، لست شيطاني

(ثم يناجي نفسه)

أجل سمعتُ باسم شيبِ ۞ طاني ولكن لم أره
أبي وأمي حتّا ۞ ني في الليالي خبره

(يعود إلى خطاب الأموي متردداً):

ألستَ أنتَ الأمويّ

الأموي: لا تخفُ أن تذكره

قيس :

ما أنتَ إلا صورة ۞ في عصبى مصوره
أو عبثٌ لو كان عق ۞ لي حاضرًا لأنكره

قيس: (وهو ينكت الأرض بعوده)

ويحي أقيسٌ واحد ۞ أم نحن قيسان هنا
وأيتنا الشاعر هـ ۞ ذا الأمويّ أم أنا
أم الذي بي وبه ۞ من عبثِ السحرِ بنا
أم أنا المجنون عليّ ۞ حب ليلي قد جنى

الأموي: قيس

قيس: لبيك قيس

الأموي: ما أنا قيسٌ

قيس: من إذن؟

الأموي: قلت إنني شيطانه

قيس: قيس من آدمٍ فما أنت منه

الأموي: أنا من قيس عامر وجدانه

قيس :

أنت وجداني؟ استعدتُ بربي ۞ منك

الأموي :

لا تستعذُ به جَلَّ شأنُه!

هكذا شاء: كل شاعر قوم /// عبقرِيَّ اللسان نحن لسانه

قيس: (مشيحا بوجهه ومطرقا):

وصرتُ يَنْهَى مارِدٌ /// على فمي ويأمرُ
ما للساني لا يطو /// لُ؟ ما له لا يقصرُ؟
يا ليت شعري كيف لا /// يخرجُ منه الشررُ؟

الأموي: (واضعا يده على كتف قيس):

علام قيس فيم أنـ /// ت مُطرقٌ مفكّرُ؟
في خبري؟

قيس :

أجل وما /// صدقتَ فيما تخبرُ
ليس لساني مارداً /// إن لساني بشرُ

الأموي: قل وحدك الشعرَ إذنْ

قيس: تظنني لا أقدرُ!

الأموي :

جربُ إذنْ قلْ أرنا /// يا قيسُ كيف تشعر

قيس: وما تحبُّ؟

الأموي :

قريةُ الـ /// جنّ وهذا المنظرُ
أليس فيما أنت را \\ \\ ء قيسُ ما يؤثر ؟

قيس: اسمع إذن يا أمويّ

الأموي: إنني أنتظر

قيس: وجوهٌ تصوّرُ ، وفضاءٌ يزهرُ ، ورمال في مطارح البصر تزخرُ! ، وقريةٌ تموج بالجن
كانها عبقرُ!

الأموي: (ضاحكا)

قه قه ! تعالوا واضحكوا!

(تضحك جماعة من الجن):

قيس: (في غضب): قه قه .. أمني تسخرُ ؟

الأموي :

ما هكذا يا شاعر الـ /// بيد البيوت تُكسرُ

جني آخر :

إنك لا تنظم يا \\ \\ قيس ولكن تنثر!

الأموي :

ما لك قيسُ مفحماً /// هذا لعمرى الحسرُ!

لا يفحم الشاعرُ لـ \\ \\ كن يفحم الشؤيعرُ

ما لك كالعود الذي /// أدبر عنه الوترُ ؟

ما للقوافي الأنسا \\ \\ ت منك قيس تنفر ؟

كيف ترى لسانك

قيس :

الـ /// آن عليه حجرُ

أنت على مشاعر \\ \\ وشعري المسيطر

إن غبت غاب خاطري /// وإن حضرت يحضر

الأموي :

الآن لا تتكرني ااا قيس وكنت تنكر
عجبت كيف تختفي الـ /// جنٌ وكيف تظهر
يا قيس هذا عالمٌ ااا طينته التجبرُ
تطغى على رائدها /// صحراؤه وتغمرُ
وغاية الممّعنِ في ااا نظامه التحيرُ
مهما علمت عنه فالـ /// لذي جهلت أكثرُ

قيس :

يا أبا الجنّ لئن ااا كنتَ أخاً لي وخليلاً
أنا في أعماء أرض /// لا أرى فيها السبيلا

الأموي: أين تبغي قيس؟

قيس :

ليلي ااا كن إلى ليلي الدليلا

الأموي :

ملٌ يميناً يا أبا المهـ /// ديّ ثم امشِ قليلا
تجد المنزلَ والما ااا ء الذي يشفى العليلا

(ينطلق قيس آخذا يمينه مهرولا)

المنظر الثاني

(في حي بني ثقيف بالطائف حيث ترى دار ورد على بعد قليل - ورد مضطجع على الرمل
وبجانبه رفيق من رفاقه - يقترب قيس)

قيس :

إن قلبي لمخبري /// أن هاتيك دارها
أنا بالطائف الذي /// قرّ فيه قرارها
في ثقيف تنقلني /// وثقيف ديارها
ما لساقى جرّرتها /// فتعايى انجرارها
ولقلبي يقول لي /// قد تدانى مزارها
كيف لا أهدى لليب /// على وفي القلب نارها
ليت ليلاي نُبنتُ /// أنني اليوم جارها

(يتبين وردا وصاحبه):

عجب! هديتُ الدار بعد ضلالة /// ما كان شيطاني عليّ كنوبا
هذي منازلها وذلك بعلمها /// بعثت إليّ ديار ليلي الطيبا
هذا غريمي وردُ أشقرَ كاسمه /// أتراه ألبس جلده مقلوبا
ما باله افترش الأديم كأنه /// بغلٌ يُعفر في التراب جنوبا

(رفيق ورد)

الرفيق :

أرى من المدى القريب /// شخصا يدبُّ نحونا كالذئب
على خطاه خشية المريب

ورد :

لم لا تقول حيرةُ الغريب؟
لعله ابن سبيل /// يمر بالحي مرًا
إني أراه سقيما /// يجرُّ ساقيه جرًّا

(ينهض من رقده قلقا)

الرفيق: عرفت من هو؟

ورد: قيسٌ /// به الغرام أضراً

الرفيق: قيس؟

ورد: أجل

الرفيق:

كيف أفضى /// إليك ! كيف تجرًّا!

ورد:

دعني وقيساً وشأنني /// لعل في الأمر سرا

(ينصرف الرجل ويتلقى ورد وقيس):

قيس: أهذا أنت ورد بني ثقيف

ورد: نعم والورد ينبتُ في رباها

قيس:

ولم سُميتَ وردا لم تلقَبُ /// بقلام العشيرة أو غضاها

ورد: (في سكون وحلم):

وما ضرَّ الورود وما عليها /// إذا المزكوم لم يطعم شذاها

قيس:

(بربك هل ضمنت إليك ليلي /// قبيل الصبح أو قبلت فاها)
(وهل رفّت عليك قرون ليلي /// رفيف الأفحوانة في نداها)

ورد: (بعد فترة وسكون)

نعم ولا يا قيس

قيس: بل /// لا بد من لا أو نعم

ورد :

هبها نعم يا قيس هل /// مع الحلال من تُهمّ ؟
المرء لا يُسأل: هل /// قبلَ أهله ؟ وكم ؟
أجل لقد قبلتُها /// من رأسها إلى القدم

قيس: (غاضبا):

تلك لعمرى قبلةُ الـ /// حُمى بلاءٍ وسقمُ
أو قبلة الذئب إذا الذ /// نب على الشاة جئتم

(يتراجع قليلا وكأنما يحدث نفسه):

قلبي يقول لي: لا /// يا صدقة فيما زعم

ورد :

إذن تعال قيس واسد /// سمع في أناة وكرم
لا تجعلن الغضب الـ /// جائرَ بيننا الحكم
اسمع حديثي إنه /// ما خطّ مثله القلم
وسرّه لا الأهل يد /// رون به ولا الخدم
أنا الذي ظلّمتُ قيب /// س ما أنا الذي ظلم
أليّة وما علـ /// سيّ لك يا قيس قسم
كم مرت الليلة بي /// والليلتان لم أنم

منذ حوت داري ليـ /// على ما خلوت من ندم
كانت إطافتي بها /// كالوثني بالصنم
وربما جئت فرا /// شها فخاننتي القدم
كأنها لي محرّم /// وليس بيننا رَحِم
شعرك يا قيس جنى /// عليّ هذا واجترم
هيبتها فامتعت /// كأنها صيد الحرّم
وهبتها للحب والشـ /// عر وقيس والألم

قيس :

ولكن تعال سرّيّ تقيف /// أبن لي ما لم تُبَيّنْ تعال
تقول لقيت بشعري الشفاء /// وجرّ عليك بياني الوبالا
لقد قلت قولاً فأوجزته /// فبالله إلا شرحت المقالا

ورد: إذن. أصغ قيس

قيس: قل الصدق ورد

ورد :

وهل كان لي الصدق إلا خلا لا
فلولاك ما اخترت إلا تقيفاً /// ولم ألق للعامريات بالا
ذهبت بشعرك منذ الشباب /// أغني القصار وأروي الطوالا
أرى بين ألفاظه ظل ليلى /// وألمح بين القوافي الخيالا
فلما رددت وقيل القصائد // عد والعشق بين المحبيين حالا
خرجت إلى حياها خاطبا /// ولم أدخر دون مسعاي مالا
بنيتُ بها فتهيبتها /// وأي امرئ هاب قبلي الحلالا
فشعرك يا قيس أصل البلاء /// لقيت به وبليلى الضلالا
كساها جمالا فعلقتهما /// فما التقينا كساها جلالا
إذا جئتها لأنال الحقوق /// نهنتي قداستها أن أنالا
أمسك أبا المهدي!

(يستحيل كلامه إلى همس، إذ تبدو ليلي على باب الخباء):

أُنظِرْ هذه /// ليلي علينا طلعت من الخبا

(ثم ينادي بصوت متهدج):

ليلى، تعالي أسرعى قيسٌ أتى /// ليلي ، هناك من تحبين هنا

قيس :

أمازح يا ورد قل لي أنت أم /// تسخر مني أم ترى تهزأ بنا ؟

ورد: بل قلت جدًا لم أقل مهازلا

قيس: (هامسا بالذهاب إليها) :إذن فدعها لا تجشّمها الخطا

ورد: (وليلي تقترب)

اسمع أبا المهدي همس خطوها /// كأنه وطء الغزال في الحسا

دعوتُ فاهتمت ولو لم أدعها /// لو جدتُ ريحك من أقصى مدى

قيسُ تثبتُ واستعدّ ، هي ذي /// أنت ، فلا يذهب بلبك اللقا

الآن أمضي لسبيلي

قيس :

بل أقم /// البث أعني ، إنني خرتُ قوَى

ورد :

قيس أرى الموقف لا يجمعنا /// أنت حبيب القلب ، والزوج أنا

يا لكما مني ويا لي منكما /// نحن الثلاثة ارتطمنا بالقضا

(ينصرف وتقبل ليلي على قيس)

قيس: ليلاي . ليلي القلب

ليلى :

قيس، ما لي /// دارت بي الأرض وساء حالي

قيس :

فداك ليلي مهجتي ومالي /// من السقام ومن الهزال
تعالى اشكي لي النوى تعالى /// ألقى ذراعيك على خيال

(تصافحه بشوق)

ليلى :

أحق حبيب القلب أنت بجانبى /// أطمّ سرى أم نحن منتبهان
أبعد تراب المهدي من أرض عامرٍ /// بأرض ثقيفٍ نحن مغتربان

قيس :

حنانيك ليلي ، ما لخلٍ وخله /// من الأرض إلا حيث يجتمعان
فكلُّ بلادٍ قرّبتُ منك منزلي /// وكل مكانٍ أنت فيه مكاني

ليلى :

فما لي أرى خديك بالدمع بُللاً /// أمن فرح عيناك تبتدران

قيس :

فداؤك ليلي الروحُ من شر حادثٍ /// رماك بهذا السقم والذوبان

ليلى :

تراني إذن مهزولة قيس؟ حبّذا /// هزالي ومن كان الهزال كساني

قيس: هو الفكر ليلي، فيمن الفكر؟

ليلى: في الذي /// تجنّي

قيس: كفاني ما لقيت كفاني

ليلى :

أدركت أن السهم يا قيس واحدٌ /// وأنا كلينا للهوى هدفان
كلانا قيسٌ مذبوخٌ /// قنيلُ الأب والأم
طعنان بسكينٍ /// من العادة والوهم
لقد زُوِّجتُ ممن لم /// يكن ذوقي ولا طعمي
ومن يكبر عن سنّي /// ومن يصغر عن علمي
غريبٌ لا من الحيّ /// ولا من ولد العم
ولا ثروته تُربّي /// على مال أبي الجَمّ
فنحن اليوم في بيت /// على ضنّين منضمّ
هو السجن وقد لا ينـ /// طوي السجن على ظلم
هو القبر حوى مَيّتيـ /// من جارين على الرغم
شتيتين وإن لم يبيـ /// عد العظم من العظم
فإن القرب بالروح /// وليس القرب بالجسم

قيس :

تعالى نعشٌ يا ليلي في ظل قفرةٍ /// من البيد لم تُنقل بها قدمان
تعالى إلى وادٍ خَلِيٍّ وجدولٍ /// ورنّة عصفور وأيكة بان
تعالى إلى نكرى الصبا وجنونه /// وأحلام عيشٍ من دَدٍ وأمان
فكم قبلة يا ليلٍ في ميعة الصبا /// وقبل الهوى ليست بذات معاني
أخذنا وأعطينا إذا البهَمُ ترتعي /// وإذ نحن خلف البهَمِ مستتران
ولم نكُ ندرى يوم ذلك ما الهوى /// ولا ما يعود القلب من خفقان
مُنَى النفس ليلي قَرَبِي فاك من فمي /// كما لف منقاريهما غردان
نذُقُ لا يعرف البؤسَ بعدها /// ولا السقمَ روحانا ولا الجسدان

فكل نعيم في الحياة وغبطة /// على شفقتنا حين تلتقيان
ويخفق صدرانا خفوقا كأنما /// مع القلب في الجوانح ثاني

(تنفر ليلي):

ليلى: وكيف!

قيس: ولم لا؟

ليلى:

لست يا قيس فاعلا /// ولا لي بما تدعو إليه يدان

قيس: أتعصيني يا ليل؟

ليلى:

لم أعصِ أمري /// ولكن صوتا في الضمير نهاني

وورد يا قيس؟ وورد ما حَفَلت به /// لقد ذهلت فلم تجعل له شانا

قيس: (غاضبا)

تعنين زوجك يا ليلي؟

ليلى: (منكسة الرأس):

نعم

قيس:

ومتى /// أحببت وردا؟ ترى أحببتَه الآنَا

ليلى: فيم انفجارك؟

قيس: من كيد فُجئتُ به

ليلى:

إني أراك أبا المهدي غيرانا

ورد هو الزوج، فاعلم قيس أن له /// حقا علي أُوذِيه وسلطانا

قيس: إذن تحاببتما ؟

ليلى :

بل أنت تظلمني /// فما أحبّ سواك القلب إنسانا
ولست بارحة من داره أبدا /// حتى يُسرّحني فضلا وإحسانا
نحن الحرائر إن مال الزمان بنا /// لم نشك إلا إلى الرحمن بلوانا

قيس: بل تذهبين معي

ليلى :

لا ، لا أخون له /// عهدا ، فما حاد عن عهدي ولا خاننا
فتى كنبع الصفا لم يختلف خلقاً /// ولا تلون كالفتيان ألوانا

قيس: (متهكما):

أراك في حب وردٍ جد صادقٍ /// وكان حبك لي زورا وبهتانا

ليلى: قيس

قيس: (صارخا)

اتركيني بلاد الله واسعة /// غدا أبذل أحبابا وأوطانا

(يحاول أن يتركها فتمسك به ليلى)

ليلى: العقل يا قيس!

قيس: لا خلى الرداء دعي

(ثم يفلت منها ويندفع إلى سبيله تاركا إياها باكية في هيئة استعطاف)

ليلى :

وارحمتاه لقيس عاد ما كانا!

واها لقيس وآه ما صنعا ؟ /// أكبر قيس بلواي والوجعا

(تدخل عفراء):

عفراء عندي

عفراء :

لبيك سيدتي /// الصبر واستدفعي به الجزعا

ليلي :

لقد سمعت الحديث كيف إذن /// صبري على ما جرى وما وقعا

قلت لقيس مقال مشفقة /// لم يلق بالآ له ولا سمعا

وقيس ذو جنة وإن زعموا /// جنونه مدعى ومصطنعا

تحير الناس في جنون فتى /// لا عقل إلا بشعره ولعا

والله لو جاء في محاسنة /// يسأل ورد الطلاق ما منعا

فورد يا عفر لا كفاء له /// مروءة في الرجال أو ورعا

آه من السقم

عفراء: ألف عافية

ليلي: آه من الحادثات

عفراء: ألف لعا

ليلي :

أنا عذرية الهوى أحمل العبء /// ء وإن ناء بالصباة جهدي

المحبات ما بكين كدمعي /// في الليالي ولا أرقن كسهدي

ويح قيس ويح لي أي ثأر /// للمقادير عند قيس وعندي

أتعب الحي داء قيس ودائي /// وتعايب الدواء كهان نجد

لا الحواميم تصرف الجن عنا /// حين تتلى ولا رقى السحر تجدي

أبقيس وبني هوى عبقرى /// يسلب العقل من ذويه ويُردي

علة البيد من قديم وداء /// ضاع فيه الرقى وحر المَفدى

ما سلاحاه حين يقتل إلا /// من عفاف ومن وفاء بعهد

لم تُعذب بالحب عذراء قبلي /// كعذابي ولن تعذب بعدي

عفراء: هي عذراء؟ ربّي اشهدُ

ليلي :

أجل /// عذراءٌ حتى يضمّني ركن لحدي

عفراء: والذي أنتِ تحته؟

ليلي :

تحت بعل /// غير جفوة ولا مستبدّ

راعني اللوم من جميع النواحي /// فتواريت في مروءة ورد

(يقبل ورد وقد سمع آخر ما كانت تقول):

ورد :

ربّ ما سمعتُ؟ ليلي شكورٌ /// لك نفسي الفداء يا بنت مهدي

ليلي: ورد

ورد: ليلي

ليلي:

رحماك ورد وعفوا /// كنت أخفى الجوى فأصبحت أبدي

ورد :

ما بليلى؟ ماذا أثارك ليلي؟ /// هدّني روعك المفزّع هدّي

ليلي :

الداء يا ورد فيّ مجتهد /// ملتهمّ هيكلي وما شبعنا

أصبحت لا أشتهي الطعام ولا /// يحمد جنبي إليّ مضطجعا

قلبي من اليأس حين حلّ به /// أحسُّ يا ورد أنه انصدعا

لم يحمل اليأس ساعةً ولقد /// كان بما حملّوه مضطلعا

التمني بالعيش منتفع /// ولن ترى يائساً به انتفعا
القدر اليوم والقضاء على /// حربك قيس وحربي اجتماعا

(ستار)

المنظر الثاني

(في حي بني ثقيف بالطائف حيث ترى دار ورد على بعد قليل - ورد مضطجع على الرمل
وبجانبه رفيق من رفاقه - يقترب قيس)

قيس:

إن قلبي لمخبري /// أن هاتيك دارها
أنا بالطائف الذي /// قرّ فيه قرارها
في ثقيف تنقلي /// وثقيف ديارها
ما لساقى جرّرتها /// فتعايي انجرارها
ولقلبي يقول لي /// قد تدانى مزارها
كيف لا أهتدى للبدن /// لى وفي القلب نارها
ليت ليلاي نُبنت /// أنني اليوم جارها

(يتبين وردا وصاحبه):

عجب! هديتُ الدار بعد ضلالة /// ما كان شيطاني عليّ كذوبا
هذي منازلها وذلك بعلمها /// بعثت إليّ ديار ليلى الطيبا
هذا غريمي وردُ أشقر كاسمه /// أترأه ألبس جلده مقلوبا
ما باله افترش الأديم كأنه /// بغلٌ يُعقر في التراب جنوبا

(رفيق ورد):
الرفيق:

أرى من المدى القريب /// شخصاً يذبُّ نحونا كالذئب
على خُطاه خشيةً المُريب

ورد:

لم لا تقول حيرةً الغريب؟
لعله ابن سبيل /// يمر بالحي مرّاً
إني أراه سقيماً /// يجرُّ ساقيه جرّاً

(ينهض من رقده قلقتا):

الرفيق: عرفت من هو؟

ورد:

قيسُ /// به الغرام أضراً

الرفيق: قيس؟

ورد: أجل

الرفيق:

كيف أفضى /// إليك ! كيف تجرّاً !

ورد:

دعني وقيساً وشأنِي /// لعل في الأمر سرا

(ينصرف الرجل ويتلقى ورد وقيس):

قيس: أهذا أنت ورد بني ثقيف

ورد: نعم والورد ينبتُ في رباها

قيس:

ولم سُميتَ ورداً لم تَلقُبُ /// بفلام العشيّرة أو غضاها

ورد: (في سكون وحلم):

وما ضرَّ الورود وما عليها /// إذا المزكوم لم يطعم شذاها

قيس:

(بربك هل ضممت إليك ليلي /// قبيل الصبح أو قبلت فاها)

(وهل رقت عليك قرون ليلي /// رفيف الأخوانة في نداها)

ورد: (بعد فترة وسكون):

نعم ولا يا قيس

قيس:

بل /// لا بد من لا أو نعم

ورد:

هبها نعم يا قيس هل /// مع الحلال من نُهم؟

المرء لا يُسأل: هل /// قبَلَ أهله؟ وكم؟
أجل لقد قبَلْتُها /// من رأسها إلى القدم

قيس: (غاضباً):

تلك لعمرى قبلة الـ /// حُمى بلاءً وسقمٌ
أو قبلة الذنب إذا الذـ /// نب على الشاة جئتم

(يترجع قليلاً وكأنما يحدث نفسه):

قلبي يقول لي: لا /// يا صدقه فيما زعم

ورد:

إذن تعال قيس واسد /// مع في أناة وكرم
لا تجعلن الغضب الـ /// جائر بيننا الحكم
اسمع حديثي إنه /// ما خط مثله القلم
وسرّه لا الأهل يد /// رون به ولا الخدم
أنا الذي ظلمتُ قيب /// س ما أنا الذي ظلم
أليّة وما عدـ /// ي لك يا قيس قسم
كم مرت الليلة بي /// والليلتان لم أنم
منذ حوت داري لي /// لى ما خلوت من ندم
كانت إطفاتي بها /// كالوثني بالصنم
وربما جئت فرا /// شها فخانتني القدم
كأنها لي محرّم /// وليس بيننا رجم
شعرك يا قيس جنى /// عليّ هذا واجترم
هيبتها فامتعت /// كأنها صيد الحرّم
وهبؤها للحب والشـ /// عر وقيس والألم

قيس:

ولكن تعال سرّي ثقيف /// أين لي ما لم تُبين تعال
تقول لقيت بشعري الشقاء /// وجرّ عليك بياني الوبالا
لقد قلت قولاً فأوجزته /// فبإله إلا شرحت المقالا

ورد: إذن. أصغ قيس

قيس: قل الصدق ورد

ورد:

وهل كان لي الصدق إلا خللاً
فلولاك ما اخترت إلا ثقيفاً /// ولم ألق للعامريات بالاً
ذهبت بشعرك منذ الشباب /// أغني القصار وأروي الطوالا
أرى بين ألفاظه ظل ليلي /// وألمح بين القوافي الخيالا
فلما رددت وقيل القصائد /// د والعشق بين المحبين حالاً
خرجت إلى حياها خاطباً /// ولم أدخر دون مسعاي مالاً
بنيتُ بها فتهيبتها /// وأي امرئ هاب قلبي الحلالا

فشعرك يا قيس أصل البلاء /// لقيت به وبليلي الضللا
كساها جمالا فعلقتهما /// فما التقينا كساها جلالا
إذا جننوها لأنال الحقوق /// نهتني قداستها أن أنالا
أمسك أبا المهدي !

(يستحيل كلامه إلى همس، إذ تبدو ليلي على باب الخباء):

أنظرُ هذه /// ليلي علينا طلعت من الخبا

(ثم ينادي بصوت متهدج):

ليلي، تعالي أسرع قيسُ أتى /// ليلي ، هناك من تحبين هنا

قيس:

أمازحُ يا ورد قل لي أنت أم /// تسخر مني أم ترى تهزأ بنا ؟

ورد: بل قلت جدًا لم أقل مهازلا

قيس: (هامسا بالذهاب إليها): إذن فدعها لا تجشمتها الخطا

ورد: (وليلي تقترب):

اسمع أبا المهدي همس خطوها /// كأنه وطاء الغزال في الحسا
دعوتُ فاهتمت ولو لم أدعها /// لو جدتُ ريحك من أقصى مدى
قيسُ تثبتُ واستعدَّ ، هي ذي /// أنت ، فلا يذهب بلبك اللقا
الآن أمضي لسبيلي

قيس:

بل أقمُ /// البث أعني ، إنني حُرْتُ فؤي

ورد:

قيس أرى الموقف لا يجمعنا /// أنت حبيب القلب ، والزوج أنا
يا لكما مني ويا لي منكما /// نحن الثلاثة ارتطمنا بالقضا

(ينصرف وتقبل ليلي على قيس):

قيس: ليلاي . ليلي القلب

ليلي:

قيس، ما لي /// دارت بي الأرض وساء حالي

قيس:

فذاك ليلي مهجتي ومالي /// من السقام ومن الهزال
تعالي اشكي لي النوى تعالي /// ألقى ذراعيك على خيال

(تصافحه بشوق):

ليلي:

أحق حبيب القلب أنت بجانبني /// أحلمُ سرى أم نحن منتبهان
أبعد تراب المهدي من أرض عامر /// بأرض ثقيفٍ نحن مغتربان

قيس:

حنانيك ليلي ، ما لَحَلَّ وِخْلَه /// من الأرض إلا حيث يجتمعان
فكلُّ بلادٍ قَرَّبَتْ منك منزلي /// وكل مكانٍ أنت فيه مكاني

ليلي:

فما لي أرى خديك بالدمع بُلُلا /// أمن فرح عيناك تبتدران

قيس:

فداؤك ليلي الروحُ من شر حادث /// رماك بهذا السقم والذوبان

ليلي:

تراني إذن مهزولة قيس؟ حبذا /// هزالي ومن كان الهزال كساني

قيس: هو الفكر ليلي، فيمن الفكر؟

ليلي: في الذي /// تجنّي

قيس: كفاني ما لقبت كفاني

ليلي:

أدركت أن السهم يا قيس واحدٌ /// وأنا كلينا للهوى هدفان
كلانا قيسٌ مذبحٌ /// قتلُ الأب والأم
طعنانان بسكينٍ /// من العادة والوهم
لقد زُوجتُ ممن لم /// يكن ذوقي ولا طعمي
ومن يكبر عن سني /// ومن يصغر عن علمي
غريبٌ لا من الحيّ /// ولا من ولد العم
ولا ثروته تُرَبِّي /// على مال أبي الجَمِّ
فنحن اليوم في بيتٍ /// على ضدّين منضمّ
هو السجن وقد لا يند /// طوي السجن على ظلم
هو القبر حوى مَيِّبٍ /// بن حارين على الرغم
شئتيتين وإن لم يبد /// عد العظم من العظم
فإن القرب بالروح /// وليس القرب بالجسم

قيس:

تعالني نعشٌ يا ليلي في ظل قفرةٍ /// من البيد لم تُثَقِّلْ بها قدمان
تعالني إلى وادٍ خَلِيٍّ وجدولٍ /// ورنه عصفور وأيكة بان
تعالني إلى ذكرى الصبا وجنونه /// وأحلام عيشٍ من دَدٍ وأمان
فكم قبلة يا ليلٍ في ميعة الصبا /// وقبل الهوى ليست بذات معاني
أخذنا وأعطينا إذا البهْمُ ترتعي /// وإذ نحن خلف البهْمِ مستتران
ولم نكُ ندري يوم ذلك ما الهوى /// ولا ما يعود القلب من خفقان
مُنَى النفس ليلي قَرَّبِي فاك من فمي /// كما لفَّ منقاريهما غردان
نَدَقٌ لا يعرف البؤس بعدها /// ولا السقمَ روحانا ولا الجسدان
فكل نعيم في الحياة وغبطةٍ /// على شفتينا حين تلتقيان

ويخفق صدرانا خفوقا كأنما /// مع القلب في الجوانح ثاني

(تنفر ليلي):
ليلى: وكيف!
قيس: ولم لا ؟
ليلى:

لست يا قيس فاعلا /// ولا لي بما تدعو إليه يدان

قيس: أتعصيني يا ليل ؟
ليلى:

لم أعص أمري /// ولكن صوتا في الضمير نهاني
وورد يا قيس ؟ وورد ما حَقَلت به /// لقد ذهلت فلم تجعل له شانا

قيس: (غاضبا):
تعنين زوجك يا ليلي؟
ليلى: (منكسة الرأس):
نعم
قيس:

ومتى /// أحببت وردا ؟ ترى أحببته الأنا

ليلى: فيم انفجارك ؟
قيس: من كيدٍ فُجئتُ به
ليلى:

إني أراك أبا المهدي غيرانا
ورد هو الزوج، فاعلم قيس أن له /// حقا علي أوديه وسلطانا

قيس: إذن تحاببتما ؟
ليلى:

بل أنت تظلمني /// فما أحب سواك القلب إنسانا
ولست بارحة من داره أبدا /// حتى يُسرّحني فضلا وإحسانا
نحن الحرائر إن مال الزمان بنا /// لم نشك إلا إلى الرحمن بلوانا

قيس: بل تذهبين معي
ليلى:

لا ، لا أخون له /// عهدا ، فما حاد عن عهدي ولا خانا
فتى كنع الصفا لم يختلف خلقاً /// ولا تلون كالفتيان ألوانا

قيس: (متهكما):

أراك في حب وردٍ جد صادقةٍ /// وكان حبك لي زورا وبهتانا

ليلى: قيس
قيس: (صارخا):

اتركيني بلاد الله واسعة /// غدا أبدل أحبابا وأوطانا

(يحاول أن يتركها فتمسك به ليلي):

ليلي: العقل يا قيس!

قيس: لا خلي الرداء دعي

(ثم يفلت منها ويندفع إلى سبيله تاركا إياها باكية في هيئة استعطاف)

ليلي:

وارحمناه لقيس عاد ما كانا !

واها لقيس وأه ما صنعا ؟ /// أكبر قيس بلواي والوجعا

(تدخل عفراء):

عفراء عندي

عفراء:

لبيك سيدتي /// الصبر واستدفعي به الجزعا

ليلي:

لقد سمعت الحديث كيف إذن /// صبري على ما جرى وما وقعا

قلت لقيس مقال مشفقة /// لم يلق بالأل له ولا سمعا

وقيس ذو جئة وإن زعموا /// جنونه مدعى ومصطنعا

تحير الناس في جنون فتى /// لا عقل إلا بشعره ولعا

والله لو جاء في محاسنة /// يسأل ورد الطلاق ما منعا

فوردا عفراء لا كفاء له /// مروءة في الرجال أو ورعا

آه من السقم

عفراء: ألفت عافية

ليلي: آه من الحادثات

عفراء: ألفت لعا

ليلي:

أنا عذرية الهوى أحمل العنب /// ء وإن ناء بالصباية جهدي

المحبات ما بكين كدمعي /// في الليالي ولا أرقن كسهدي

ويح قيس ويح لي أي ثار /// للمقادير عند قيس وعندي

أتعب الحي داء قيس ودائي /// وتعايي الدواء كهان نجد

لا الحواميم تصرف الجن عنا /// حين تتلى ولا رقي السحر تجدي

أبقيس وبني هوى عبقرى /// يسلب العقل من ذويه ويُردي

علة البيد من قديم وداء /// ضاع فيه الرقي وحر المقيدي

ما سلاحاه حين يقتل إلا /// من عفاف ومن وفاء بعهد

لم تُعذب بالحب عذراء قبلي /// كعذابي ولن تعذب بعدي

عفراء: هي عذراء؟ ربّي اشهد

ليلي:

أجل /// عذراءٌ حتى يضمّني ركنٌ لحدي

عفراء: والذي أنتِ تحته؟

ليلي:

تحت بعل /// غير جفوة ولا مستبّد

راعني اللوم من جميع النواحي /// فتواريت في مروءة ورد

(يقبل ورد وقد سمع آخر ما كانت تقول):

ورد:

ربّ ما سمعتُ؟ ليلي شكورٌ /// لك نفسي الفداء يا بنت مهدي

ليلي: ورد

ورد: ليلي

ليلي:

رحماك ورد وعفوا /// كنت أخفى الجوى فأصبحت أبدي

ورد:

ما بليلى؟ ماذا أثارك ليلي؟ /// هدّئي روعك المفزّع هدّي

ليلي:

الداء يا ورد فيّ مجتهد /// ملتهم هيكلي وما شبعنا
أصبحت لا أشتهي الطعام ولا /// بحمد جنبي إليّ مضطجعا
قلبي من اليأس حين حلّ به /// أحسُّ يا ورد أنه انصدعا
لم يحمل اليأس ساعةً ولقد /// كان بما حملوه مضطلعا
التمني بالعيش منتفعٌ /// ولن ترى يائساً به انتفعا
القدر اليوم والقضاء على /// حربك قيس وحربيّ اجتمعا

(ستار)

الفصل الخامس

(مقابر على سفح جبل توباذ في طريق عام على مقربة من حي بني عامر يبدو من بينها قبر جديد ما زال أشخاص من الحي يهيلون عليه التراب ويضعون الحجارة. ومن حوله كثير من رجال الحي وفتياته وصغاره يرى بينهم المهدي وورد وكلهم باك أو حزين... يبدأ المشيعون في الانصراف وهم يعزون المهدي ويصافحونه واحداً بعد واحد ويمرون على ورد مرورا).

معز: إنا لله أبا ليلي
آخر: صبراً أبا ليلي جميل

(في أثناء انصرافهم يمر رجل في الطريق فيسأل صبياً من صبيان الحي في ناحية):

المار: قبر من يا صبي؟
الصببي: قبرها يا أبي
المار: امرأة؟
الصببي: نعم
المار: ومن تكون؟
الصببي: (مشيراً إلى المهدي):
بنت ذا الرجل

ليلى ابنة المهدي /// ألسنت من نجد؟

صبي آخر:

أجل قد دفنت ليلي /// وما جفّ لها لحدُّ
وذا الشيخ أبو ليلي /// وذا صاحبها وردُّ
هنا الوالد والزوج

المار: وقيس؟
الصببي: لم يجيء بد

(يقترّب الرجل من المهدي ليعزي):

المار: مهديّ أجملُ جزعا
معز: يا أبا ليلي جمالكُ
آخر: عزاءً أبا ليلي
آخر: عزاءً أبا ليلي
آخر: صبراً أبا ليلي جميل
صديق من أصدقاء ورد (هامساً إليه):

لقد أحسنت يا ورد /// وما للناس إحسان
يعزؤون أبا ليلي /// وما عزّاك إنسان
بل انظر ترهم أفسى /// عليك اليوم ما كانوا

على الأوجه بغضاء /// وفي الأعين عدوان

ورد:

مهلاً أخي وانظر إلى الد /// ناس بعين منصف
هم يأخذون ما بدا /// ويتركون ما خفي
ظنُّ الجماعات فيَّ سوءٌ /// ورأيهم فيَّ ما أصابا
يرون أنني عدوُّ قيس /// أخذت ليلي منه اغتصابا
وردت نفسيهما شقاءً /// وزدت قلبيهما عذابا
ليسأل الناس قبر ليلي /// فإن في قبرها الجوابا

(يلتقت إلى المهدي بعد أن يعزيه آخر معز):
تجمل أبا ليلي
المهدي: (مصافحا إياه):

تجملت طاقتي /// ولست بخوارٍ قليل التجلد
حملت فضول الناس يا ورد حقةً /// إذا قمت من باغٍ عثرت بمعتدي
يعيئون في عرضي فمن كل معول /// ومن كل مقرضٍ ومن كل مبرد
وهذا يحييني ويقطع فروتي /// وهذا يفديني ويهدم سوؤدي
ويا ورد لو لم تُرُخ ستراً على ابنتي /// لظلت بعرض في البواد مبدد
حفظت ابنتي حفظ الشقيق ومُرّضت /// ببيتك تمرريض الصغير الممهد
وصيرت ليلي في حماك وخدرها /// كعذراء ديرٍ أو كدمية معبد
لقد صنتها يا ورد فاذهب فما أنا /// بناس لك المعروف أو جاحد اليد
وأعلم أنني كنتُ حرب هواها /// وكنت مع الواشي وعون المفند

(يلتقت إلى القبر باكياً):

ورد:

بظل الله يا ليلي /// وفي بحبوحة الخلد
وهذا نجد يا ليلي /// فنامي في ثرى نجد

(يدخل دائرة المسرح من جانب الطريق الآخر الغريض المغني والشاعر ابن سعيد وأمّية وسعد):

الغريض: دنا الحيُّ يا بن سعيد وثمّ
ابن سعيد: وما ثمّ؟
الغريض: انظر يجبك النظر
ابن سعيد: قبور؟
الغريض:

أجل عارضتنا القبور /// و عما قليل نجيزُ الحفرُ

ابن سعيد:

وهل نحن إلا على حفرة /// هي الأرض أو هي قبر البشر
محجبةً بغرور الحياة /// يراها إذا غرغر المحتضر

غريضُ ، بصرت بقبر جديد

الغريض: وماذا سوى الموت في ذا العقر؟

ابن سعيد:

أخ كان يملأ أمس الهواء /// ويحيا الحياة ويجري العمر
نزىلٌ لعمرى غريب الغطاء /// غريب الوطاء غريب الحجر
لدي منزلٌ كبيوت الكراء /// مراراً خلا ومراراً عمر
يُزارُ كثيراً فدون الكثير /// فغيّاً فينسى كأن لم يُزر
وليس بنافعه الواصلون /// وليس يضائره من هجر
فيا ميّتٌ أمس عدتك الرياحُ /// وحيالك في الفترات المطر
وأمس كعاد وإن كان منك /// مطيف الخيال قريب الصور
لقد نفض الليل منك اليمين /// وأدرك فيك النهار الوطر
وأمسيت تحت لواء التراب /// قهرت القضاء وندت القدر
تلفت وراعك أين الغرور /// وأين السرور وأين الأشر
وأين معالم عرس الحياة /// وأين سنا ليله المزدهر
وأين شبابٌ كحلم العروس /// ضحوك العشيّات طلق البكر
وأين العداوات من سافرٍ /// مبين ومن كاشح مستتر
وأين المودات من صحبةٍ /// كنحل يحمن وأنت الزهر
قليلون عند امتناع القطاف /// كثيرون عند رجاء الثمر
وكم من سقيت بشهد الوداد /// فلم يجز إلا بصاب الإبر
فدق سنة لا ككلّ السنّات /// ونم ليلى ما لها من سحر
وقل للصديق طوينا الحديث /// وقل للعدو دفنا الخر
وهيئ مكانيهما في التراب /// فإن ركبهما منتظر

سعد: أمية، ماذا ترى في الغريض؟

أمية: وماذا أرى في أمير الطرب؟

سعد:

لقد علم الناس أن الغريض /// مُغني الحجاز وشادي العرب

ولكن

أمية:

وماذا وراذ "ولكن؟" /// فمن شأنها أن تُثير الرّيب

سعد:

أميّ اخفض الصوت لا يسمعن /// فيغضب فهو قريب الغضب
وأذن المغني تحسن النسيم /// وتسمع في الكأس جرس الحَبّ
أميةٌ إنّي أخاف الغريض /// وإن التطير بي قد ذهب

أمية:

وأين ترى الشؤم حول الغريض /// وكيف؟

سعد:

رويدك تدر السبب

أليس الغريض يهيج البكاء /// فلو رام دمع العروس انسكب
ترعرع في بيئة النائح /// وعلمنه الندب حتى ندب

يلوحُ بيثرب آل الرسول /// ويُذكي ماتم أهل الحسبُ
أمية: وأين يد الشؤم مما ذكرت /// وأيّ بلاءٍ علينا جلب
وما هو إلا مُعْنِي الحياة /// لنقضي حقاً لقيس وجب
ونسأل عن عاشقٍ في الديار /// طويل البلاء ثقيل الوصب
ومن زار بالنائحات المريض /// وأهل المريض أضع الأدب

(بتهياً الغريض لغناء):

هو ذا هاج شجوه /// هو ذا يرسل النغم
هاتفٌ من نواحه /// رن في القاع والأكم
هو في كل خاطر /// وفواده صدى الألم

(أنشودة الغريض):

وادي الموت سلامٌ /// وسقى القاع الغمامُ
السماء القدسُ محراً /// بك والأرض الحرامُ
أنت في الصمتِ مبينٌ /// ومن الصمت كلامُ
لم يمتَ أهلك لكن /// غشي الليل فناموا
غُيبٌ لم ندر ما صا /// روا ولا أين أقاموا

(يخرجون إلى ناحية الحي من حيث يسمع آخر الأنشودة ثم يدخل من الجانب الآخر على أثر
اختفائهم قيس وزباد)

قيس:

جبل التوباد حياك حيا /// وسقا الله صباناً ورعى
فيك ناغينا الهوى في مهده /// ورضعناه فكنت المرضعا
وحدونا الشمس في مغربها /// وبكرنا فسبقنا المطلعا
وعلى سفحك عشنا زمناً /// ورعينا غنم الأهل معا
هذه الرّبوة كانت ملعباً /// لشبابينا وكانت مرتعا
كم بنينا من حصاها أربُعاً /// وانثنينا فمحونا الأربعا
وخططنا في نقا الرمل فلم /// تحفظ الريح ولا الرمل وعى
لم تزل ليلى بعيني طفلةً /// لم تزد عن أمس إلا إصبعا
ما لأحجارك صمماً كلما /// هاج بي الشوق أبت أن تسمعا
كلما جنئك راجعتُ الصبا /// فأبت أيامه أن ترجعا
قد يهون العمر إلا ساعةً /// وتهون الأرض إلا موضعا

(يظهر بشر قادماً إلى المقبرة من ناحية الحي):

بشر: عزاء قيس؟

قيس: من؟ بشر؟

بشر: أجل

قيس:

فيمن تعزيني؟

أنا الميت يا بشر /// وإن أحرّ تكفيني

(يضطرب بشر وقد أدرك جهل قيس وحرص الموقف ثم يميل هامسا إلى زياد):

بشر:

يجهل قيس موتها /// ولم أخل أن يجهله
ويح له ويوح لي ! /// ماذا عسى أقول له
إن الحبيب نعيه إلى /// إلى المحب معضلة
إنني أخاف إن أنا /// خبرته أن أقتله

قيس: بشر:

بشر: لبيك قيس

قيس: من أين يا بشر؟

بشر: من الحي

قيس: ما حوادث عامر؟

كيف أمي يا بشر؟

بشر: برحها الشوق

قيس: وأهلي؟

بشر: حنينهم متكاثر

قيس: ولداتي من فتية وعذراى؟

بشر: كلهم شيق لعهدك ذاك

قيس:

كيف بيئت لنا بمدرجة الريب /// ح وناد على النجوم وسامر؟
والنخيلات كيف خلقتها بشر

بشر: كما هن باسقات نواضر

قيس: ومهاري التي تركت صغارا؟

بشر: كبرت قيس فهي جرد ضوامر

قيس:

عزت البيد، تنبت السابق الفدّ /// وتأتي بفارس و بشاعر

(يضطرب بشر):

ويح بشر ما به؟

بشر: قيس!

قيس:

بشر!

أنت في نفسك الخفية نائر

تشبه الحزن والبكى نبرات /// لك كانت كضحكات المزاهر

بشر: (إلى نفسه ثم إلى قيس):

ربّ ماذا أجيب؟ لا شيء يا قيس

قيس:

بل الحزن في محياك ظاهر
ولقد راعني لك اليوم جدُّ /// من خليع العذار بالأمس سادر

(تغورق عينا بشر بالدموع):

ما جرى؟ ما الذي أثارك يا بن الـ /// عم؟ ما هذه الدموع البوادر؟

بشر: قيس، لا شيء
قيس:

بل كتمت جليلاً /// هذه وجمة النعي المحاذر

بشر: قيس..
قيس:

لا تجم ولا تخف شيئاً /// أنا يا بشر بالفجيرة شاعر
خلجت قبل نلتقي عيني اليسد /// رى وريع الفؤاد روعة طائر

بشر:

أعفني ! أعفني! بربك ما أنـ /// ت على ما أقوله لك قادر!

قيس: أمانت؟
بشر: أجل قضت أمس ...
قيس: (وهو يغمى عليه):
واليلاه!
بشر: لله – ما أشدّ المقادر!
(يمضي في سبيله):
زياد: (مقتربا من قيس):

هو مغمى عليه ربّ أيصحو ؟ /// هل لهذا العذاب يا ربّ آخر؟

(يصحو قيس):
زياد:

تباركت يا ربّ قيس أفاق /// صحت عينه وصحا المسمع
رجعت لنا قيس

قيس:

هيهات هيهات /// ت! من كان في النزع لا يرجع
لقد بقيت خفقة في السراج /// سيلفظها ثم لا يسطع
زياد غداً يلتقى الموجعون وموعدنا ذلك البقع

(يشير إلى المقابر):

عرفت القبور بعرف الرياح /// ودلّ على نفسه الموضع
كتلكي تلمس قبر ابنها /// إلى القبر من نفسها تدفع

هداها خيال ابنها فاهتدت /// وليلى الخيال الذي أتبع
لنا الله يا قلب! ليلاك لا /// تجيب وليلاي لا تسمع!
فجعنا بليلي ولم نك نحسد /// حبُّ يا قلب أنا بها نفجع

(يقترَب إلى القبر باكيا فيكب بوجهه على حجر من أحجاره):

أعينيّ هذا مكان البكاء /// وهذا مسيلك يا أدمعي
هنا جسم ليلى هنا رسمها /// هنا رمقي في الثرى المودع
هنا فم ليلى الزكيّ الضحو /// كُ يكاد وراء البلى يلمع
هنا سحر جفن عفاه التراب /// وكان الرقي فيه لا تنفع
هنا من شبابي كتاب طواه /// وليس بناشره البلع
هنا الحادثات، هنا الأمل الحط /// ويا ليل ، والألم الممتع
طريد المقادير هل من يجبر /// ك منها سوى الموت أو يمنع؟
تزلُّ الحياة لسلطانها /// وللموت سلطانها يخضع
طريد الحياة ألا تستقر /// ألا تستريح ، ألا تهجع؟
بلى قد بلغت إلى مفزع /// وهذا التراب هو المفزع

(يظهر الأموي شيطانه من بعيد ويناديه):

الأموي: قيس

قيس:

من الهاتف من /// نادى الشريد المُطْرَح

الأموي:

أنا الذي أوحى إليّ /// لك حب ليلى واقترح

قيس:

اذهب وإن لم أدر رو /// حُ أنت أم أنت شبح
اذهب فلست صالحا /// وأي شيطان صلح
كنت قرين السوء لي /// وكنت شر من نصح
لولاك ما بحتُ بما /// خدش ليلى وجرح
كأنه في عرضها /// زيت على الثوب سرح

الأموي: أفق قيس

قيس:

سر خلّني يا خيال /// ومن بالخيال لمن لم ينم

الأموي:

حنانيك قيس أقلّ العتاب /// ولا تسكين دموع الندم
تقرّدت بالألم العبريّ /// وأنبع ما في الحياة الألم
مريبك يا قيس فوق التراب /// وأنت مع النجم فوق التهم
أخذت سبيلك نحو الخلود /// وليس الخلود سبيل الأمم
قم اهتف بليلي وشيب بها /// وخلّ التقاليد وانس الحرّم
وطرّ في الهواء طليق الجناح /// وسرّ في الأديم طليق القدم

فلو أنصف الناس خلوكما /// كترك الوفود حمامَ الحرمِ
قم أبسطُ جناحك فوق القفار /// وطرف في الوهاد وقع في الأكم
وأترع من الوتر العبقري /// سماء القصور وأرض الخيم
وألف على الحب شتى القلوب /// وأرسل بشرَّ الجمال النغم
تغنَّ بليلي وبُحْ بالغرام /// وبُتَّ الصبابة واشكُّ السَّقم
فلا خير في الحب حتى يذيعَ /// ولا خير في الزهر حتى ييمَ

قيس: أقوم؟ .. /// .. هات قدما
أقول؟ ... /// ... أعطني فما
أما تراني هيكلًا محطماً مهتماً !
(يختفي الشيطان ويستمر قيس):

يا ربَّ قيس هل نعبتُ وهل جرتُ /// كأسٌ تدور على النفوس مشاع؟
أولا فما بالي أنوء بهيكل /// للموت فيه وللحياة صراع
اليوم آذننا القضاء بحكمه /// ما لي ولا لك يا حياة دفاع
راجعت في الموت الحياة وعادني /// في النزاع يا ليلي إليك نزاع
كيف الوداع من الحياة ولم يتحَّ /// لي منك يا ليلي الغداة وداع
هيهات لم تعدم شذاك قرارة /// حولي ولم يعدم سناك يفاع
وعلى سماء البيد منك بشاشة /// وعلى رمال البيد منك شعاع
وكان كل صبابة دون الضحى /// قسما تُ وجهك دونهن قناع

(يمر به ظبي سارح فيتأمله قليلا ويناجيه):

يا طبي بكّ من افتدائك بماله /// إذ أنت عان تشتري وتباع
وأباح طفلك ماءه وطعامه /// إذ هنّ عطشي بالفلاة جياح
يا قاعُ كن نعشي وكن كفني وكن /// قبيري وقم في مأتمي يا قاع
واجمع لتشييعي الظباء ، ومن رأى /// مينا بأسراب الظباء يُشاع
أترى أموت كما حبيبت مشرداً /// لا الأهل من حولي ولا الأتباع
وأبيت وحدي لا الوحوش أو انسُ /// حولي هناك ولا الظباء رتاع

(تتخاذل سيقان قيس فينلقاه زياد ويظهر ابن ذريح على مقربة من القبر خاشعا باكيا):

زياد:

قيس، لا بأس عليك /// أنا ذا بين يديك

قيس:

نفس اطمئني الآن لست وحدي /// قد حضر الذي يخطُّ لحدي
ويرشد الحي إليّ بعدي /// زياد أنت المشفق المُقدّي
لم أنفرد إلا رُويتَ عندي

(يتبين شبح ابن ذريح):

زياد ما ذلك من ذا /// بيكي وراء الضريح

إني أغار على القبر /// ر من غريب الجروح

زياد:

لا تخش يا قيس منه /// فإنه ابن ذريح

ابن ذريح:

يا ليل، قبرك ربوة الخلد /// نفع النعيم بها ثرى نجد
في كل ناحية أرى ملكا /// ينتفسون تنفس الورد
لبسوا الجمان الرطب أجنحة /// وتناثروا كتناثر العقد
وتقابلوا فعلى تحييم /// مسك السلام وعنبر الرد
وكان نجواهم وسبحتهم /// صوب الغمامة أو صدى الرعد
نفحات طيب ها هنا وهنا /// ما للرياض بهن من عهد
يا قيس صبرا ها هنا ملك /// ذبح الصباية مشهد الوجد
اصح انتبه واطرح بعينك في /// بهج السماء وحسن ما تبدي

قيس:

أين السماء وأين محتضر /// طلعت عليه الأرض بالحد
السهد عدبني وذي سنة /// أجد الشفاء بها من السهد
ولقد أقول لمن يبشرني /// بالخلد ما أنا داخل وحدي
لو أن ليلي في النعيم معي /// أو في الجحيم تساويا عندي
ليلي النعيم وقد ظفرت بها /// فاليوم نرقد في ثرى نجد
إني أحب وإن شقيت به /// وطني وأثره على الخلد

(يسمع صوتا ضئيلا كأنما هو خارج من القبر):

الصوت: قيس

قيس:

من الصوت /// ويحي أبي سحر

الصوت: قيس

قيس:

زياد اسمع /// وأصغ يا يبشر

الصوت: قيس

قيس:

سمعت اسمي /// يلفظه القبر

الصوت: قيس

قيس:

تناديني /// من قبرها باسمي
لبيك يا ليلي /// بالروح والجسم!

(يدخل في دور الاحتضار الأخير):

هل أسى الموت جراحينا وهل /// قرب الدار وهل لمّ الشتات؟

أصوات: قيس، ليلى
قيس:

رثة في أذني /// رددت قيس وليلى الفلوات
نحن في الدنيا وإن لم ترنا /// لم تمت ليلى ولا المجنون مات

(ستار الختام)

متندى حديث المطابع
موقع الساخر
www.alsakher.com